الإسماعيليون في الثورة السورية..

مدخل

في يوم 2013/10/2، قامت مجموعة من شبيحة منطقة القبو على طريق حمص مصياف بإيقاف سيارة السيد خالد عطفة وعائلته المكونة من زوجته وطفلتين، المتجهين من السلمية إلى القدموس، وذبحتهم جميعاً.

الحادثة التي كان يمكن أن تعتبر فعلاً جنائياً قد يحصل في أي زمان ومكان، تحولت إلى حدث سياسي طائفي في سياق الوضع السوري، فالقتلة ينتمون إلى منطقة القبو العلوية المؤيدة للنظام، والضحايا ينتمون إلى الطائفة الإسماعيلية، التي عرف عنها موقفها المؤيد للثورة السورية. وضمن هذه المحددات جاءت أغلب ردود الفعل على ما حدث، ولتتجاوز في عنفوانها قضية المواقف الحالية من النظام والثورة، ولتعيد أصداء عداء تاريخي بين الطائفتين، لم تستطع الدولة السورية بأنظمتها المتتالية، أن تنهيه أو تساهم في جعله من تفاصيل الماضي المنسية.

وإذا كان النظام السوري قد لجأ ومنذ بداية الثورة إلى جعل الطائفية سلاح يستخدمه متى يشاء ضد المنتفضين عليه، عبر ادعاء حمايته للأقليات وعبر استتاره بالطائفة العلوية، التي ظل موقفها كجماعة دينية غائباً عن ساحة الثورة، بينما قام عموم أفرادها بالوقوف إلى جانب النظام، فإن حادثة آل عطفة طرحت أسئلة حقيقية حول البعد الطائفي الذي يحكم عقلية من قاموا بالجريمة، سيما وأن الضحايا كانوا ينتمون إلى طائفة محسوبة على الأقليات.

هنا وفي هذه الدراسة سنمر على تاريخ العلاقة بين الطائفة العلوية وبين الطائفية الإسماعيلية، في سياق التحولات التي شهدتها سوريا منذ بداية القرن العشرين، وحتى بداية الثورة السورية، وصولاً إلى تبيان الدور الذي لعبته الطائفة الإسماعيلية في سياق الثورة.

الإسماعيليون السوريون، من هم؟

تشكل الطائفة الإسماعيلية جزءاً أصيلاً من الأجزاء المكونة للمجتمع السوري، ورغم أن النسبة المقدرة لعدد الإسماعيليين لا تتجاوز 1% من العدد الفعلي للسوريين (1)، إلا أن مساهمة هذه الطائفة الدينية في تاريخ سوريا الحديث، ولاسيما في اللحظة التاريخية الراهنة، تبدو أكبر من حجمها العددي.

والإسماعيلية طائفة شيعية إمامية، تمايزت عن الشيعة الإثني عشرية من حيث أن أتباع هذه الطائفة يعتقدون بأن الإمامة انتقلت بعد جعفر الصادق إلى ابنه الأكبر إسماعيل، ولهذا سموا بـالإسماعيلية، بينما يعتقد الاثنا عشرية أن الإمامة بعد جعفر الصادق ذهبت إلى ابنه موسى الكاظم، وهو الإمام السابع عندهم, ويسوقون الإمامة بعده حتى الإمام الثاني عشر, ولهذا سموا بـالإثني عشرية. وبينما يقول الاثنا عشرية أن الإمامة قد انتهت بالإمام الثاني عشر, وهو محمد بن الحسن العسكري ويلقبونه بالحجة القائم المنتظر. ويعتقد الإسماعيلية أن الإمامة تستمر إلى يوم القيامة.

ساهم الإسماعيليون بأدوار كبيرة في التاريخ الإسلامي، وقد اقاموا دولتين لهم، الدولة الفاطمية، و الدولة النزارية.

وقد بدأ الانقسام الأكبر في تاريخ الطائفة الإسماعيلية في عهد الدولة الفاطمية التي أسسها الإسماعيليون في شمال أفريقيا وبلاد الشام، حيث استمرت من العام 909م إلى 1171م. ففي سنة 1094م وبعد وفاة المستنصر بالله انقسمت الإسماعيلية الفاطمية إلى نزارية، ومستعلية.

فبعد أن أوصى الأمام المستنصر بالله بأن يليه ابنه نزار لأنه الابن الأكبر. قام الوزير الأفضل الجمالي بتنحية نزار، وأعلن إمامة المستعلي وهو الابن الأصغر، كما أنه في نفس الوقت ابن أخت الوزير. وقام بسجن نزار حتى مات..

وعقب الانقسام الإسماعيلي المستعلي، النزاري، تمركز الإسماعيليون المستعليون في مصر، والمغرب العربي، واليمن. واستمروا في حكم الدولة

الفاطمية، حتى زالت دولتهم على يد صلاح الدين الأيوبي، وسمي أتباع المستعلية بالبهرة لاحقاً. بينما رحل الإسماعيليون النزاريون إلى الشرق، وراح الداعية الحسن الصباح يدعو للإمام نزار ابن المستنصر ولابنه الحسن بن نزار، في فارس والعراق وبلاد الشام. وانتشر الإسماعيليون النزاريون في الساحل السوري عموماً.

وقد شكلت قلعة (ألموت) في إيران مركز الدعوة الإسماعيلية وسط محيط من الأعداء حتى تدميرها على يد المغول سنة 1256م. حيث قام أخر الأئمة فيها ركن الدين بتسليم نفسه لهم. بعد أن تمكن من تهريب ابنه شمس الدين محمد الوريث الشرعي للإمامة الإسماعيلية، وبعد موت الإمام شمس الدين محمد عام 1311م، تسلم شؤون الإمامة ابنه قاسم شاه، الولد الأول وهو الذي وقع عليه النص، وإليه تعود أسرة الأئمة الحاليين للإسماعيليين. بينما تقول النزارية المؤمنية أن الذي تسلم الإمامة ولده الأكبر مؤمن شاه. وقد أتبع جزء من الإسماعيليين الأئمة الذين يعودون إلى الأسرة القاسمية، بينما أتبع جزء آخر الأئمة الآخرين من الأسرة المؤمنية. ولم ينقطع الأئمة من الأسرة المؤمنية عن الاتصال باتباعهم من إسماعيلية بلاد الشام، الذين لم يشهدوا أي انقسام في تلك المرحلة، وبقيت الإسماعيلية النزارية في الديار السورية متحدة حتى العام 1795م، وهو العام الذي دخل الإمام محمد بن حيدر الملقب بالباقر الثاني دور الستر الأخير (دور الستر يعني: تخفّي الإمام وعدم إشهار نفسه إلا لعدد من الأشخاص على مستوى العالم وهؤلاء هم الدعاة.)

وبهذا فإن الإمام محمد بن حيدر أو الأمير (محمد الباقر) هو أخر إمام من الأسرة المؤمنية عرفه إسماعيليو بلاد الشام، وبينما رفض بعض اسماعيليي مصياف والقدموس وقسم من سلمية وتوابعها الاعتراف أو مبايعة أي إمام بعده لا يكون متحدراً من هذه الأسرة، فإن الأكثرية الساحقة من الإسماعيليين في سوريا يؤمنون بالقاسمية ويدينون بالولاء إلى الآغا خان الحالي الأمير كريم آغا خان، ويعتبرونه الوريث الرسمي لإمامة جده سلطان محمد شاه المتحدر من الأسرة القاسمية.(2)

عاش المسلمون الإسماعيليون كطائفة دينية، طيلة القرون التي تلت انهيار دولهم المتعاقبة، تحت حكم الدول التي تعاقبت على حكم بلاد الشام، وتعرضوا لما تعرضت له كافة الطوائف من تحولات وتبدلات على المستوى السياسي، وقد تركز انتشارهم وحتى منتصف القرن التاسع عشر في مناطق متعددة في ريف محافظتي حماة وطرطوس (مصياف والقدموس ونهر الخوابي وعكار)، وقد كان لإصدار السلطان العثماني عبد المجيد قراراً بالعفو عن كل من يقوم بإعمار أي منطقة شرقي نهر العاصي في العام 1848 أثراً كبيراً على الطائفة (3)، حيث قام جزء كبير من الإسماعيليين النزارية بالهجرة إلى خرائب مدينة السلمية معقل الطائفة التاريخي، ليقوموا بإعمارها بعد أن بقيت وطيلة فترة طويلة تحت سيطرة قبائل بدوية كانت تتصارع فيما بينها للسيطرة عليها، وقد كانت الدوافع العميقة لهذه الهجرة هي الارتباط الديني بالمدينة التي شكلت منبعاً من منابع الدعوة، وكذلك محاولة الهرب من الصراعات الطائفية بينهم وبين الطائفة العلوية، التي تقاسمت معهم مناطق السيطرة والنفوذ في جبال الساحل السوري. وقد استثمر الوافدون إلى السلمية وباديتها الأرض بشكل جيد ما أدى إلى توافد دفعات متتالية من الإسماعيليين إلى المنطقة حيث قاموا بإنشاء القرى، ولكنهم واجهوا هجمات البدو الذين في البداية خسارة المنطقة، وقد تمكن الإسماعيليون "السلامنة" من احتواء هذه الهجمات عبر وسائل متعددة، تراوحت بين استخدام السلاح للدفاع عن النفس وبين عقد المصالحات والتوافقات، ما أدى في المحصلة إلى ازدهار المدينة وما حولها بعد أن تم توزيع الأراضي على جميع السكان، ما جعلهم يعملون بشكل أفضل في الأرض التي يملكونها، وقد أدى ذلك إلى اتساع دائرة المتعلمين في المدينة. ومع مرور الوقت اتسعت حركة التوافد إلى المدينة، لتشمل طوائف دينية أخرى كالسنة والعلويين، وليشمل عرقيات غير عربية كالشركس والأكراد والأرمن.

وعلى العكس من الإسماعيليين الذين ذهبوا إلى السلمية، كان وضع أبناء طائفتهم المؤمنية الذين بقوا في مناطق مصياف، والقدموس ونهر الخوابي، فقد عاش هؤلاء وضعاً سيئاً بسبب ما كان سائداً من ناحية العلاقة بين

الإسماعيليين والعلويين، حيث كانوا يواجهون خطراً دائماً من قبل العلويين، الذين كانوا يحاولون طردهم من الأمكنة التي استوطنوها منذ مئات السنين.

تاريخ الخلاف بين الطائفتين وأسبابه:

لا تظهر المراجع التاريخية سواء تلك التي دونت الأحداث التاريخية بشكل محايد، أو تلك التي دونها أفراد من كلا الطائفتين الإسماعيلية أو العلوية، سبباً طائفياً للصراع الذي دار بين الجهتين، لا بل إنها تذكر حصول محاولة لدمج الطائفتين في طائفة واحدة، خاصة وأنهما تنتسبان إلى الشيعة، ولكنها منيت بالفشل بسبب رفض العلويين للأمر (4)، فالمشكلة لا تتعلق بالخلاف العقائدي، الذي تحول ومع مرور الزمن إلى مجرد إطار خارجي يغلف في باطنه أسباباً أخرى، تبدأ أولاً بالصراعات بين الجماعات العرقية والدينية للحصول على المكاسب الجغرافية، والتي تنطوي على أبعاد اقتصادية أولاً وعلى تأمين شروط حماية حياة أفراد المجموعة وبما يضمن استمرارها وبقاءها، وتذكر المراجع التي أرخت لحركية الجماعة العلوية أنه "وبعدما اشتد الكرب على العلويين الذين يقطنون في جبال الساحل السوري, وزاد أذى الأتراك والسلاجقة والأكراد والإسماعيليين عليهم" (5), طلب العلويون النجدة من الأمير المكزون السنجاري فأتى لنجدتهم على رأس حملة عسكرية لإنقاذ العلويين عام 1213م. وتكررت حملة المكزون مرة ثانية في سنة 1221م, بعد أن وصلته أخبار عن عودة الخطر على العلويين.

غير أن الدوافع السابقة المؤسسة للصراع لم تبق ثابتةً كما هي، بل إنها ومع مرور الوقت، ومع تكثف الوقائع التاريخية، ومع تبدل المواقع في أولويات الفئات المتصارعة، التي لم تكن محصورة بالطرفين الإسماعيلي والعلوي في هذه المنطقة، أخذت ملامح جديدة في القرن التاسع عشر، تتوزع على الشأن الاجتماعي وعلى الاقتصادي.

فمن الناحية الاجتماعية، كان الإسماعيليون كجماعة دينية أكثر تنظيماً وأكثر انفتاحاً مع الطوائف الأخرى ولا سيما منها الأكثرية السنة، من العلويين الذين كانوا يتشكلون من عشائر تتصارع فيما بينها في العديد من الأحيان، وقد عاشوا علاقة سيئة طيلة عقود متعددة مع جيرانهم من السنة، وقد كان

لتجريد الدولة العثمانية لحملات عسكرية ضدهم أثر كبير في جعلهم يعيشون عزلة في جبال الساحل السوري. وبينما كانت علاقة أمراء الإسماعيلية مع الدولة العثمانية جيدة، ما جعلهم أفضل حالاً من الناحية الاقتصادية، كان العلويون يعيشون حالة من الفقر الشديد، ما جعل الفئات الأشد فقراً منهم تلجأ إلى اتخاذ اسلوب قطع الطرق والإغارة على أملاك الأخرين، معتمدة هذا الأمر كأسلوبٍ لتأمين موارد الرزق، وكلما كانت هذه الأعمال تزداد في فترات ضعف الدولة العثمانية، كلما كانت تواجه بالبطش والقوة المفرطة في فترات قوة الدولة.

لقد أدت سياسة الدولة العثمانية الموسومة بالسنية إلى جعل العلويين فئة منبوذة، ومستهدفة، بسبب من سوء تعامل المديرين والمتصرفين معهم، والذي كان يبرر من قبل السلطة بكون هؤلاء لا يلتزمون بأداء الضرائب للدولة، وقد أدى تراكم هذه السياسات إلى وجود احتقان كبير لدى العلويين ضد كل الفئات الطائفية أو الاجتماعية المحيطة بهم.(6)

وإذا كان لصراعات نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الأثر الأكبر في رسم ملامح خريطة توضع كل من الطائفتين جغرافياً في الوقت الحالي، فإن المعارك التي حدثت في تواريخ سابقة تدلل وبشكل واضح إلى صراع تاريخي أدى لعداء تاريخي جاهر به محمد أمين غالب الطويل وبشكل صريح حين قال : "يقال أن أصل الصهيونيين اسماعيليون. ولكن تمايلهم للحكومة التركية وتظاهرهم بالتسنن ووقوع المصاهرات المتتابعة بينهم، وبين مسلمي اللاذقية أدى لالتحاقهم بأهل السنة. فالصهيونيون هم أعداء العلويين تاريخياً"(7).

وبالعودة إلى الوقائع التاريخية، فإن الصراع الحاصل يعود إلى فترة النشاط العسكري للإسماعيلية النزارية، والتي وجدت في قلاع المنطقة مقرات دفاعية مهمة للحفاظ على وجودها. وحماية الإسماعيليين الذين خاضوا تحالفات متباينة بحسب التهديدات التي كانت تحيق بهم في فترة الحروب الصليبية (8).

وفي فترة الحكم العثماني حاول العلويون مرات عديدة الاستيلاء على القلاع الإسماعيلية، ولكن تدخل قوات الدولة العثمانية كان كفيلاً بإعادتهم إلى مناطقهم، ومن بين الحوادث الطائفية تذكر المصادر التاريخية حادثة "دوكة بيت رسلان" في العام 1703 حيث قامت جاءت عشيرة بني رسلان بالاستيلاء على قلعة مصياف، وقتلت جميع الذكور الكبار، وسكنت مدّة ثمان سنين(9). ومع مرور الوقت تخلى الإسماعيليون ولأسباب متعددة، كعدم القدرة على الحماية، والفقر وبما يؤدي إلى بيع الأملاك، وغير ذلك، عن قلاع كثيرة، وانحصر وجودهم في مناطق أساسية كقلعتي مصياف والقدموس، بالإضافة إلى منطقة نهر الخوابي، وقد هاجر قسم كبير منهم إلى مدينة السلمية التي تمت إعادة إعمارها بموجب فرمان من السلطان العثماني.

الوقائع بين العلويين والإسماعيليين ونتائجها.

تتجاهل المصادر التاريخية الإشارة إلى الوقائع التي جرت بين الطائفتين في مناطق مصياف والقدموس ونهر الخوابي، في نهاية العقد الثاني من القرن العشرين، وهي تظهر في بعضها ولا سيما الروايات التي كتبها علويون، وسردت في الكتب التي صدرت في ظل حكم حزب البعث لسوريا، كحوادث جانبية يشار إليها مع الحديث عن الثورة التي اندلعت في منطقة الساحل السوري، ضد قوات الانتداب الفرنسي التي دخلت هذه المنطقة قبل دخولها إلى دمشق، ومن بين هذه المصادر ما نقله عبد اللطيف يونس في كتابه "ثورة الشيخ صالح العلي" عن "الكتاب الذهبي الفرنسي" الذي أرخ من وجهة نظر القوات الفرنسية تفاصيل حربهم مع ثورة المنطقة، والذي جاء فيه: "منذ نهاية 1918، ومنذ ذلك الحين حتى نهاية 1921 لم ينفك الشيخ صالح وأنصاره الذين يقطنون منطقة "الشيخ بدر" يظهرون عداءهم لنا. وذلك بمهاجمتهم مركز جنودنا وفرقنا، والتنكيل بحلفائنا الإسماعيليين الذين كانوا يساعدون جيوشنا في حربها ضد العصارة العلويين" (10)، ورغم أننا لا نعثر بين الدراسات والكتب التي أرخت لفترة الانتداب الفرنسي وما قبله على معلومات موثقة حول حلف ما بين الإسماعيليين وبين الفرنسيين كما ذكر في "الكتاب الذهبي الفرنسي"، إلا أن هذه المعلومة يمكن أن تحال إلى

وقوف بعض زعماء الجماعات في المنطقة وبحسب مصالحهم مع القوى الجديدة التي بدأت بالتوافد على المنطقة بعد خروج الدولة العثمانية منها، فقد لعبت قضية المحافظة على المصالح الفئوية في سياق مستجدات الواقع دور البوصلة في عملية التحالفات في المنطقة. كما أنها قد تتوضح في حال تم النظر إلى وجود القوات الفرنسية في مناطق الإسماعيليين كالقدموس التي جعلوها قاعدة لقواتهم، والتي هاجمها العلويون في أذار 1920، وحاصروها مما أضطر حاميتها الفرنسية إلى الاستسلام، وإلى جلاء سكانها الإسماعيليين عنها إلى مصياف. (11)

غير أن الروايات الإسماعيلية المدونة وهي شبه نادرة، تروي ما حصل من وجهة نظر مختلفة، فهي تركز على فئوية المهاجمين، وتوضح أن دوافع هؤلاء لم تكن بعيدة عن الملامح الطائفية، ولعل أهم رواية مطبوعة لما حدث هي تلك التي رواها الدكتور مصطفى غالب في كتابه "تاريخ الدعوة الإسماعيلية" والتي جاء فيها: "وبعد أن وضعت الحرب أوزارها تنفس الاسماعيلية السويون الصعداء واستبشروا خيراً الا ان الاسماعيليين الذين يقطنون الجبال السورية الغربية (القدموس-الخوابي) قد تعرضوا لهجمات النصيرية عام 1919 ميلادية ونهبت مواشيهم واضرمت النيران في منازلهم، وبالرغم من ان الاسماعيلية كانوا عزل من السلاح فقد دافعوا دفاعاً قوياً وتمكنوا من دحر تلك العصابات المجرمة وردهم على أعقابهم خاسرين، وفي 28 آب 1919م. تدخلت السلطات الفرنسية الموجودة في اللاذقية لفض هذا النزاع وعقد اجتماعاً بين المتخاصمين في قرية (الشيخ بدر)ونتيجة لذلك الاجتماع شكلت لجنة خاصة لتقدير الخسائر التي لحقت بالاسماعيلية ولكن تلك اللجنة عجزت عن إعادة أي شيء للاسماعيلية، وفي 12 اذار سنة 1920 ميلادية هاجمت العصابات النصيرية التي يقودها الشيخ صالح العلي مدينة (القدموس) وحاصرها عدة ايام أظهر خلالها الاسماعيلية بأنهم يستحقون بجدارة أن يكونوا أحفاداً للحسن بن الصباح وسنان راشد الدين لما اظهروا من تضحية جسيمة في الدفاع عن مدينتهم، وأخيراً نفذت ذخيرتهم ومؤنتهم فاضطروا للاستسلام، وما كادت تلك العصابات تحتل البلدة حتى عملت فيها نهباً وسلباً وتقتيلاً، وغادر النساء والاطفال الاسماعيلية المدينة

حفاة عراة باتجاه السلمية، وبعد أن دخل الشيخ صالح العلي قدموس واحتل قلعتها أمر أفراد عصابته أن يأتوه بجميع ما يعثروا عليه من مؤلفات اسماعيلية أثناء تفتيش المنازل، وأمر بأن تجمع المؤلفات وتحرق حتى لا يستفيد منها أحد وهكذا قد قضي على المكتبة الاسماعيلية قضاءً مبرماً. وفي 17 نيسان سنة 1920 ميلادية تجمع الاسماعيليون من كل حدب وصوب وهاجموا مدينة القدموس وتمكنوا من احتلالها واجلاء العصابات عنها ومطاردتهم حتى اعتصموا في الجبال والمعاصي الصعبة المسلك. واخيراً انتهت تلك الحوادث الدامية اثر دخول الجيوش الفرنسية إلى البلاد فاستتب الأمن وعاش الجميع بسلام ووفاق" (12)

ولعل أبرز الروايات المحايدة التي تحدثت عن الأحداث الدموية التي وقعت بين الإسماعيليين والعلويين في العام 1919، قد جاءت في ما كتبه المؤرخ محمد كرد علي في كتابه "خطط الشام" إذ يذكر واقعتين محددتين في هذا العام، فيتحدث عن الأولى قائلاً: "ومن الأحداث خلال هذه السنة ما وقع من اختلاف (شباط 1919) بين مشايخ الإسماعيلية وجماعتهم من الفلاحين انقلب إلى فتنة، اضطر معها الأمراء أن يستنجدوا بمشايخ النصيرية ليعينوهم على أبناء مذهبهم فعاونوهم حتى انتصروا على جماعتهم، وأراد الفلاحون من الإسماعيلية بعد كسرتهم أن ينتقموا لأنفسهم فهاجموا قرى النصيرية القريبة من أرضهم، وارتكبوا أنواع القسوة وحرقوا الدور ونبشوا قبور الأولياء من شيعتهم فاضطرت السلطة كما قال الكولونيل نيجر إلى التدخل واشتعلت نيران الفتنة ولم تخمد إلا في تموز 1921. قال: وكادت هذه الفتنة تعم الجبل كله، لو لم يعلن استقلال جبال النصيرية." (13)

ويروي محمد كرد علي وقائع الحادثة الثانية، التي جرت ضمن سياق الأحداث فيقول: "ومما حدث وقائع النصيرية والإسماعيلية (نيسان 1919-1337) فأغار النصيرية على الإسماعيلية في جبل الكلبية في قرى عقر زيتي وخربة الفرس وجمعه شبه (يقصد الجمعيشية: الباحث) وغيرها من قرى الإسماعيلية، وفي ناحيتي الخوابي والقدموس، وسكانهما إسماعيلية،

فنهبت القدموس وخربت بعض بيوتها، وكانت المعركة دامية بين الطائفتين قدر بعضهم قتلاها بمائتين وزاد أخرون إلى أكثر من ذلك."(14)

صحيح أن انتصار قوات الانتداب الفرنسي في معاركها مع القوات العلوية التي قادها الشيخ صالح العلي للمعركة، قد حوله إلى شخص فار من يد العدالة، ولكن النتائج الفعلية على الأرض جاءت لصالح العلويين الذين توسعوا جغرافياً على حساب الإسماعيليين الذين غادروا الكثير من أماكن تواجدهم خوفاً من القتل على يد العلويين. وأمست المناطق التي يعيشون فيها أشبه بجزر معزولة محاطة بأغلبية علوية مثلهم مثل الطوائف الأخرى التي تعيش في المنطقة.

ورغم أن الصيغة التي فرضتها إدارة الانتداب على المنطقة عبر تشكيل حكومة العلويين، التي تدير سنجقي اللاذقية وطرطوس قد فرضت وجود عضو إسماعيلي في المجلس، الذي يعاون حاكم المنطقة بالإضافة إلى 7 أعضاء علويين، و2 مسيحيين، و2 مسلمين سنة، إلا أن هذه الصيغة عكست حقيقة تقلص الوجود الإسماعيلي في المنطقة العلوية المستقلة، التي شملت كل المناطق التي جرت فيها الأحداث السابقة. (15).

انتهاء الوقائع العنيفة قد جرى قمعها بقوة السلاح الفرنسي، لم يؤدي إلى اختفاء مشاعر الكراهية بين الطرفين، بل إنها بقيت تجري في الظل، وتحفل الأحاديث الشعبية بروايات عديدة عن وقائع كثيرة جرت بين الطرفين طيلة الفترة التي تلت، إلا أن الموثق من بين هذه الوقائع يبدو نادراً، ومن هذه المجريات الموثقة حادثة مقتل شخص إسماعيلي، يدعى محمد الإبراهيم في وادي حيلين قرب مصياف يوم الأحد في 30 تشرين الأول 1938، والتي تسببت بجولة جديدة من العنف بين الإسماعيليين والعلويين في مدينة مصياف، بعد أن تم اتهام الشيخ سليمان العلي حاكم صلح تلكلخ، والشيخ منصور العيسى وولده حامد بالجريمة، حيث تعود القصة إلى كون الشيخ سليمان العلي وأخوته قد رهنوا قريتهم بعمرة لدى المصرف التونسي، ولما استحقت أموال المصرف، لم يقم الشيخ بالدفع فاضطر المصرف لبيع القرية استيفاء لمطلوبه، وقد وضعت في المزاد العلني فاشتراها محمد ابراهيم. وقد

أصدر محافظ اللاذقية إحسان الجابري أوامره بالقبض على المتهمين، غير أن احتجاج العلويين وتهديدهم بالقيام بالعصيان المسلح ومقاطع ومحاصرة الإسماعيليين دفعت المحافظ لإلغاء قراراته. (16)

لقد جرفت الموجات السياسية التي ضربت منطقة الساحل السوري، والمناطق الداخلية المرتبطة به، سكان المنطقة من كل الطوائف، ولعلها قد وحدت النخب السياسية ضمن الأطر الحزبية التقليدية (الكتلة الوطنية، حزب الشعب) ووحدت أيضاً جموع الشباب الذي بدأ ينال حصصاً متفاوتةً من التعليم، ضمن الاطر السياسية الجديدة التي بدأت برسم ملامح وجودها ومشاريعها المستقبلية في تلك المرحلة، وبما خلق وضعاً جديداً تراجعت فيه العصبية الطائفية قليلاً لتفسح المجال أمام عصبيات سياسية جديدة، وعلى سبيل المثال لا الحصر، كان النشاط السياسي للحزب القومي السوري الاجتماعي الذي أسسه أنطون سعادة والذي شكلت يقوم على جمع المكونات الطائفية السنية والعلوية والمسيحية والإسماعيلية في المنطقة ضمن مشروعه السياسي، وقد ساعد جلاء القوات الفرنسية عن سوريا في العام 1946، في خلق اندفاع للنخب المجتمعية نحو الممارسة السياسية، التي انقسمت ضمن الاتجاهين السابقين، اتجاه القوى التقليدية واتجاه القوى الجديدة. مما أبعد شبح الاشتباك الطائفي عن المكونات الطائفية المحلية، ولكنه لم يمحي النبض الطائفي الذي كان يظهر بين الحين والآخر، ضمن مسارات لم تأخذ طابع المواجهات المباشرة، خاصة وأن مسائل التوزع الطوائف جغرافياً، بقيت على الوضع الذي انتهت إليه الوقائع السابقة. ولكن الوقائع التاريخية السابقة، ورغم أن الحراك المجتمعي قد أظهر تجاوز المجتمعات لها، ولكن أثارها بقيت في نفوس الإسماعيليين الذين وجدوا أنفسهم محاصرين من قبل العلويين في مناطقهم التاريخية، فتحولوا إلى أصحاب "مظلومية" عبّر عنها في وقت قريب أحد الناشطين: "اذا عدنا الى التاريخ فان بعض المجازر التي قام بها ابناء الطائفة العلوية بحق أبناء مصياف مازالت في ذاكرة المعمرين تمتلئ ألماً وحزناً ونحن لا نذكرها وإنما تنتقل لنا بالتواتر حين يثار الحديث عن الظلم التاريخي الذي لحق بمصياف ولم يؤرخ له أحد حتى يكون عبرة و درس لكي لا يزداد ألم الأجيال القادمة وحتى يعتبر من التاريخ من تسول

له نفسه العودة الى نفس العقلية التي سادت في مطلع القرن العشرين ونحن ننسبها إلى الطائفية المقيتة والى الجهل الذي كان يعصف بالعقول في تلك الحقبة أي منذ مئة عام تقريبا و اكثر." (17)

التوجهات السياسية للطائفة الإسماعيلية

في سلمية ومصياف في مرحلة ما بعد الاستقلال.

شكلت مدينة السلمية حاضنة مجتمعية لكل هذه الطوائف والقوميات، رغم غلبة الطائفة الإسماعيلية عددياً، وقد شارك سكان المدينة في مجمل التطورات التي عاشتها البلاد، منذ تحررها من السيطرة العثمانية، مروراً بالانتداب الفرنسي، وصولاً إلى مرحلة ما بعد الاستقلال حيث شارك "السلامنة" في الحياة السياسية عبر انتساب كبار العائلات التقليدية (الأمار؛ الأمراء) إلى الأحزاب التي كانت تحتل المشهد السياسي كالكتلة الوطنية وحزب الشعب، وقد وجدت القوى السياسية الجديدة التي انضمت إلى المشهد كالحزب السوري القومي الاجتماعي، والحزب الاشتراكي العربي، والحزب الشيوعي، تربة خصبة لها بين أبناء مدينة السلمية الذين اندفع شبابهم إلى التحزب ضمن هذه الأطر التي أفضت لاحقاً إلى بيئة سياسية قوية مستندة إلى أرضية قوامها كثرة المتعلمين بين السكان.

غير أن ولادة حزب البعث العربي الاشتراكي في العام 1947 لعبت دوراً أساسياً في علاقة سكان المدينة بالعمل السياسي بشكل عام وببعض التحولات الطائفية أيضاً، وقد شكل تواصل د. سامي الجندي بقادة البعث ميشيل عفلق وصلاح البيطار حين كان يدرس طب في دمشق بدمشق باللقاء، خطوة أولى في نقل أفكار الحزب إلى مدينة السلمية، كما أن النشاط الكبير الذي قام به أكرم الحوراني في البيئة الفلاحية في ريف حماة الشرقي والغربي، في جعله بيئة خصبة في نمو الحزب، ويروي د. سامي الجندي تفاصيل مهمة عن تشكل الحزب بشكل أساسي من أبناء الريف: " كان جل المنتسبين للحزب في دمشق من العناصر الشابة الطلابية القروية التي كانت تؤم الجامعة والثانويات بين 1940-1955 حتى انتهت عادت إلى مسقط رأسها فتوالي نشاطها. ولقد كانت الشروط الاجتماعية في الريف مؤاتيه لنشوء الحزب

وامتداده فتضخم فيه وظلّ هزيلاً في المدن، وخاصة دمشق. ومع الزمن أصبح جسماً كبيراً برأس صغير." (18)

وقد أشارت شهادات بعض المناوئين لفكر البعث وممارساته ولاسيما من عايشوا مرحلة نشوء حزب البعث، إلى أن البنية الاجتماعية التي قام عليها الحزب كانت بيئة جامعة للأقليات الدينية بشكل رئيسي، فقد "تحددت بنية الحزب منذ البدء بطبيعة البنيات الاجتماعية التي انحدرت منها العناصر الحزبية. فكانت بنية ريفية، أو من نوعية معينة، هي نوعية المثقفين من طلاب ثم أساتذة موظفين، ومن جذور طائفية، تأتي بالدرجة الأولى: الجذور العلوية، ثم الدرزية فالإسماعيلية فالمسيحية." (19)

وقد أدى توغل البعثيين في الجيش كما جرت الوقائع التاريخية المعروفة، إلى توسع تأثيره في الحياة السياسية السورية في الفترة التي سبقت قيام الوحدة السورية المصرية عام 1958، وقد كان من الواضح لجميع من قرأ تفاصيل المرحلة أن القوة الأساسية للتنظيم العسكري للحزب تتشكل من الأقليات، ودون الدخول في معتركات الصراعات الداخلية بين أقطاب الحزب الأساسيين في تلك المرحلة وما تلاها، فإن مشهد الوحدة قد كشف أن البعث قد تحول من مشروع يحمل غطاء أيديولوجي هو فكرة القومية العربية، إلى عدة مشاريع متصارعة (20) سرعان ما تكثفت بعد انفراط عقد الوحدة، وقيام حكم الانفصال، الذي سرعان ما انتهى على يد العسكريين البعثيين والناصريين، الذين أعلنوا "ثورة البعث"، وانقضوا على السلطة بتاريخ 8 أذار 1963. ولتظهر ملامح التنظيم السري الذي سمي لاحقاً باللجنة العسكرية التي جاء أفرادها جميعاً من أقليات المجتمع السوري (21). الذي قاد سوريا بشكل فعلي منذ بداية "الثورة" وحتى انقلاب حافظ الأسد عام 1970.

عاشت سوريا تحت حكم البعثيين مرحلة قاسية جداً، فتكوين الحكام الجدد ورغم أنهم ينتمون إلى حزب قومي عربي يفترض نظرياً أنه يتضاد في توجهاته مع الفئوية والطائفية، إلا أن الصراعات التي جرت بين البعثيين أنفسهم كانت تفضي وعند كل مفصل من مفاصلها، إلى تصفية كتلة طائفية،

ففي 23 شباط 1966، قام تيار القيادة القطرية الذي ترأسه صلاح جديد بتصفية مواقع السنة من قيادة الحزب والجيش والدولة، وقد لعب الضباط المنتمين إلى الطائفة الإسماعيلية أدواراً متعددة في سلسلة الصراعات، فمواقفهم كانت تساهم في ترجيح كتلة ضد كتلة أخرى، دون أن يظهروا بوصفهم كتلة متراصة ذات مواقف موحدة، وبعد انقلاب "الشباطيين" تمت تصفية الكتلة الدرزية التي ترأسها سليم حاطوم الذي تمت تصفيته لاحقاً بعد محاولته الانقلاب على رفاقه وفراره إلى الأردن وعودته وتسليم نفسه للسلطات. عام1967، وبعد هزيمة حزيران بوقت قصير تم اعفاء الإسماعيلي أحمد المير من منصبه كقائد للوحدات العسكرية على الجبهة السورية الإسرائيلية خلال حرب حزيران، المير الذي كان عضواً مؤسساً في اللجنة العسكرية البعثية، تم اختياره عضواً في القيادة القومية لحزب البعث في سبتمبر (أيلول) 1967. وفي أكتوبر (تشرين الأول) 1968 تم استبدال المير في هذا المنصب بشخص آخر ليتم تعيينه بالسفارة السورية في مدريد. (22) وفي خضم الصراع بين صلاح جديد وبين حافظ الأسد العلويين، و"قبيل انعقاد المؤتمر القطري الاستثنائي بوقت قصير قام أنصار الأسد العسكريون بمحاصرة مقر قيادة العقيد عبد الكريم الجندي (مؤيد إسماعيلي مخلص لجديد) الذي كان يشغل منصب رئيس الأمن الوطني ورئيس إدارة المخابرات العامة، وقاموا باختطاف عدد من مساعديه وأنصاره ومصادرة السيارات الخاصة بمكتبه، أما بالنسبة لعبد الكريم الجندي فقد انتحر"(23). وبعد أيام من استيلاء الأسد على السلطة قامت أجهزته الأمنية باعتقال أعضاء القيادة القطرية الذين لم ينضموا إليه وكان من بينهم الإسماعيلي مصطفى رستم، كما تم سجن العديد من رجالات الدولة وكان من بينهم الأديب والأستاذ الجامعي الإسماعيلي سليمان الخش.

الإسماعيليون في ظل حكم الأسد

افضت صراعات حزب البعث الداخلية إلى خلق مناخ محتدم بين الإسماعيليين، الذين وجدوا أنفسهم مندمجين في حركية الحزب منذ استيلائه على السلطة، وصولاً إلى انقلاب حافظ الاسد على القيادة القطرية وتوليه

زمام الحكم، وقد انجلى هذا المناخ عن سجن النظام لعدد من الشخصيات الإسماعيلية التي وصلت إلى مواقع هامة في هيكلية الحزب، وقد ترتب على الوضع السياسي الجديد، الذي لم يكن محصوراً بهذه الطائفة وحدها، بل تعداها ليشمل علويين ومسيحيين وسنة يجمعهم الموقف المعارض للنظام، أن وجد أبناء مدينة السلمية أنفسهم في مواجهة مع آليات السلطة الجديدة التي ذهبت بالبلاد نحو الغاء الحياة السياسية، وقمعها وسجنها لكل من تابع حياته السياسية التي تتعارض مع النظام، وقد أدت عوامل كثيرة لاحقة يبرز منها التهميش الاقتصادي، وغياب مشاريع التنمية الجدية عن المناطق التي يعيشون فيها، إلى جعل الفئات الإسماعيلية الشابة قريبة أكثر من غيرها للمعارضة بشكل عام، وقد عاش المئات من أبناء مدينة السلمية تجربة الاعتقال لسنوات عديدة على خلفية الانتماء إلى التنظيمات السياسية التي جاهرت بمعارضة النظام، كحزب البعث العربي الاشتراكي (جناح 23 شباط)، وحزب العمل الشيوعي، والمكتب السياسي للحزب الشيوعي(حزب الشعب الديموقراطي حالياً)، وقد شمل الاعتقال شرائح واسعة من المستقلين، والمثقفين. وقد عاش بعض شباب مدينتا مصياف والقدموس أوضاعاً مماثلة لتلك التي عاشها أقرانهم في السلمية، وإن بنسبة أقل، وربما يعود هذا إلى أنهما عاشتا وضعاً إشكالياً بسبب تركز السكان الأصليين قليلي العدد في المدينتين، واحاطتهما بمحيط علوي كبير، ما جعل هؤلاء يعيشون وضعاً دقيقاً جداً، من حيث علاقة الشباب بالعمل السياسي، فمن حيث المجريات العامة ثمة تطابق كبير بين الحركية السياسية التي جرت في مدينة السلمية في ظل عهد الأسد الاب، والتي اشترك فيها أفراد من كلا الطائفتين، الإسماعيلية والعلوية، فمصياف والقدموس وريفيهما كانا منبعاً للقوى السياسية المعارضة، ولاسيما منها التيارات البعثية المعارضة وحزب العمل الشيوعي والمكتب السياسي للحزب الشيوعي (حزب الشعب حاليا).

وقد حاول النظام أن يمنح الطائفة الإسماعيلية كما غيرها من الطوائف موقعاً ما في بعض مفاصله، دون أن يعطي هذا الموقع أو ذاك بعداً طائفياً ظاهراً، بل إنه حاول دائماً أن يظهر الأمر على أنه مشاركة سياسية وليست في جوهرها شكل من أشكال المحاصصة يتبع كأسلوب أو آلية لشراء الولاء

(24)، ولعل قراءة التفاصيل الخاصة بالأشخاص الذين ينتمون للطائفة الإسماعيلية ممن وصلوا إلى مواقع متقدمة في هيئاته التنفيذية توضح أن هؤلاء قد وصلوا إلى ما وصلوا إليه بعد تاريخ طويل من خدمتهم في مؤسساته، فهؤلاء إما تقنيون، وإما أمنيون، وإما تم ترشيحهم من قبل القيادة القطرية لحزب البعث، فترتيب الاعتبارات التي ترشح الشخص ليكون في موقعٍ ما يجعل مسألة الولاء أولاً، والانتماء الطائفي ثانياً. وضمن هذا المسار كان يمكن للكثيرين ممن ينتمون لأفرادٍ إسماعيليين أن يكونوا في مواقع المسؤولية، وضمن هذا المسار أيضاً بات من الممكن فهم أن يكون رئيس (مؤسسة الآغا خان للتنمية) في سوريا وزير سابق هو لواء سابق في جهاز الأمن السياسي.

هذا التجانس بين أشخاصٍ إسماعيليين يعملون في مواقع المسؤولية في نظام هيمنت على مواقع المسؤولية فيه صبغة طائفية محددة هي العلوية، قابله تجانس آخر لدى النخب السياسية المعارضة، التي تقاسم فيها إسماعيليون وعلويون مع أفرادٍ وجماعاتٍ من طوائف أخرى مرارات التغييب السياسي، لعشرات السنين في السجون وفي الملاحقات السياسية، غير أن هذا كله لم يمنع جمرة الصراعات الطائفية التقليدية من الاتقاد مجدداً، فالعلاقة المتوترة في السابق بين الطائفة الإسماعيليّة والطائفة العلويّة والتي تشكل أنموذجاً لحالة طائفية مضمرة، والتي كان يفترض بالدولة الوطنية أن تقوم بإنهاء وجودها ضمن مشروع وطني يجعل من المواطنة أساساً للعلاقة بين جميع أفراد المجتمع، لم تختف، وذلك بسبب النظام الذي حكم البلاد، والذي قام على أساس المحسوبيات الفئوية والطائفية، وبالتأكيد فإن للمناخ القمعي الذي فرضه هذا النظام على عموم فئات وأفراد المجتمع السوري، قد شكل بيئةً حاضنة لعودة الطائفية في أي وقت تتراكب فيه المعطيات للحظة انفجار طائفي، وضمن هذا السياق يكون من المفهوم تماماً، ذلك الوضع الإشكالي، الذي أدى إلى حدوث مواجهات طائفية بين الإسماعيليين والعلويين في مدينتا مصياف والقدموس عام 2005.

أحداث مصياف والقدموس 2005

ما جرى في مدينة مصياف، اختصره إعلام النظام بتوضيح لمتحدث من وزارة الداخلية قال فيه: "أن ما حدث هو مجرد مشاجرة بين عدد من السائقين الذين يعملون على خط مصياف - حماة نتيجة خلافهم على الدور لنقل الركاب وأن الأمور عادت إلى وضعها الطبيعي. وقال المصدر إنه بتاريخ 2005/3/10 تشاجر عدد من السائقين الذين يعملون على خط مصياف - حماة نتيجة لخلافهم على الدور ونقل الركاب في مركز الانطلاق بحماة, وقد فر عدد من المتشاجرين وألقي القبض على بعضهم, وتمت إحالتهم إلى القضاء وقامت قوى الأمن الداخلي بالبحث عن الفارين. وبتاريخ 2005/3/24 جرى احتكاك بين عدد من المواطنين في مصياف وأقارب بعض السائقين الفارين تطور ذلك إلى مشاجرة استخدمت فيها العصي والحجارة حيث أصيب عدد من المتشاجرين بإصابات خفيفة أسعفوا بعدها إلى المشفى وتم علاجهم, وقد قامت قوى الأمن الداخلي بإلقاء القبض على المتشاجرين وأحيلوا للقضاء. لاحقا تمت المصالحة بين الأطراف المتنازعة وعادت الأمور لوضعها الطبيعي".(25)

غير أن هذه الرواية والتي نشرت بعد مرور أكثر من شهر على بداية الأحداث أغفلت الكثير من التفاصيل التي كان رجل الشارع السوري يهمس بها عما حصل في مصياف، والتي استدعت ظهور مقالات عديدة في بعض وسائل الإعلام الإلكتروني السورية، والتي حاولت تحليل الوقائع، والإشارة إلى سوء طريقة تعاطي الإعلام الرسمي مع ما حدث، بينما قامت بعض صفحات المعارضة السورية بتقديم رواية مختلفة للأمر، حيث نقلت صفحة (المجلس الوطني للحقيقة والعدالة والمصالحة في سورية) التفاصيل على لسان بعض المواطنين الذين قالوا: "إن الشجار الذي بدأ بين عدد من السائقين في محطة الانطلاق بسبب خلاف على تسجيل دور رحلاتهم، سرعان ما تطور إلى " مواجهة طائفية دموية بفعل التحريض الذي قام به عدد من أعضاء شعبة حزب البعث في المدينة جعل من الصعب السيطرة عليه بواسطة قوى الأمن المحلية، واستدعى حضور وزير الداخلية غازي كنعان من دمشق وقوات خاصة ترابط في مطار حماة العسكري (...) وطبقا لما ذكره المواطنون في رسالتهم، فإن أعضاء من شعبة حزب البعث في

المدينة، ينحدرون من الطائفتين كلتيهما، "سعوا إلى توظيف دنيء لخلاف عادي يجري يوميا في جميع محطات الانطلاق في جميع أنحاء سورية، من أجل التحشيد والتجييش الطائفي في إطار التحضير للانتخابات التمهيدية لمؤتمر حزب البعث المقرر انعقاده بعد شهرين من الآن" (26)

الأحداث التي جرت في المدينة أخذت طابعاً طائفياً كما يتحدث ناشطون عايشوا تفاصيلها، أظهرت لجوء البعض من العلويين إلى استخدام السلاح إثر وقوع المشاجرة، لترهيب أهل المدينة وشتمهم، وحين لم تتدخل الأجهزة الأمنية تفجر الوضع لدى السكان الإسماعيليين، وبشكل غير مسبوق، ما أدى إلى انقسام المدينة حياتياً واقتصادياً بين مكونيها الطائفيين الأساسيين (27)

وهنا يجب الإشارة إلى أن الشهادات عم حصل في مصياف ظلت شبه غائبة بسبب القمع الذي مارسته الأجهزة الأمنية على إسماعيلية المدينة، ولكن بعضها بدأ بالظهور في زمن الثورة، ولكن دون التصريح باسم أصحابها، كشهادة الناشط الذي أطلق على نفسه اسم "مصياف عود على بدء"، الذي نشر خلاصةً ما حصل: " نعم نسكن مع ابناء الطائفة العلوية في نفس المدينة، وليس خفي على أحد حجم الاحتقان الطائفي الذي ولدته حوادث الاستقواء التي يقوم بها الكثير من أبناء الطائفة العلوية على أبناء مصياف، هذا الاحتقان الذي يبقى مكبوتاً أو ينفجر على شكل حوادث فرديه أو حتى جماعيه تهدد مجتمع مصياف بالدم والخراب... ولعل منها حوادث 2005 وكذلك الحوادث التي رافقت الثورة." (28)

ورغم أن الأجهزة الأمنية قد سعت إلى منع تداول الأخبار عن الأحداث في مصياف في وسائل الإعلام، إلا أن ما جرى كان متداولاً بين السوريين، وقد رأى الكثيرون في آلية علاج السلطة للواقعة الطائفية تكراراً لذات الأساليب التي تمت من خلالها معالجة مشاكل المجتمع السوري دائماً، حيث يتم التغطية على الحدث، لتتكفل الأجهزة الأمنية بعلاجه..! (29)

وبعد ثلاثة شهور من أحداث مصياف جرت وقائع مماثلة في مدينة القدموس، سارع إعلام النظام إلى الإعلان عنها هذه المرة ولكن تحت مسمى جديد، إذ

نشرت صحيفة الثورة بتاريخ الخميس 2005/7/14م "ان شجارا وقع مساء أول امس في مدينة القدموس بين بعض الافراد تطور الى الشجار بين عائلات وحوادث شغب. وذكرت الوكالة العربية السورية للأنباء بان الشجار استمر حتى ساعة متأخرة من الليل واستدعى ذلك تدخل قوى الأمن الداخلي التي أوقفت مسببي الشغب بغية احالتهم الى القضاء المختص. فيما افاد مراسلنا السيد هيثم يحيى محمد بان بعض الشباب الطائش اقدموا على خلفية شجار عائلي على احراق بعض المحلات التجارية ضمن بلدة القدموس وحدثت ردود فعل مماثلةً واصيب نتيجة هذه المشاجرة 15 شخصاً من الطرفين بجروح طفيفة , وتدخلت الاجهزة الامنية المختصة في طرطوس واوقفت عدداً من الفاعلين من كلا الجانبين وتتابع الآن تحقيقاتها لمعرفة كل ملابسات الحادثة تمهيداً لإحالة المتسببين الى القضاء." (30)

غير أن أنظار الناشطين السوريين التي لفتها ما حدث في مصياف قبل ثلاثة شهور سارعت إلى تحري الوقائع ولتنقلها بشكل سريع إلى جمهور القراء (31)، فالأحداث الطائفية أطلت على السوريين من بوابة مصياف والقدموس لتؤشر إلى واقع حاول النظام مراراً أن يغفله، ولتكشف أن ما جرى تسويفه قبل عقود سيعود، ليس فقط عبر تصرفات غوغائية من قبل البعض، بل عبر سياسات النظام نفسه.(32)

الناشط السياسي فائق المير تحدث وبعد مرور سنوات على أحداث القدموس فقال: " بلدتي الاسماعيلية يتم استباحتها من قبل شبيحة ومتنفذي بشار الاسد في العام 2005 ويتم حرق المنازل ونهبها كما يحدث الآن في كل المدن السورية. هذا النظام يشد العصبيات للأقليات من أجل مشروعه السياسي المغلف بالمقاومة والممانعة والوطنية، وهو بالواقع لا يتجاوز حدود كرسي الحكم دون غيرها. مستقبل الأقليات في سوريا رهن بانتصار الثورة وبإقامة النظام الديمقراطي فهو الضامن لحاضر ومستقبل كل السوريين." (33)

الإسماعيليون والثورة السورية:

شكلت تظاهرة سوق الحميدية بتاريخ 15 اذار 2011، وأحداث الاعتصام أمام وزارة الداخلية بداية اشتراك بعض الأفراد الإسماعيليين (من مصياف والسلمية) في الثورة السورية منذ بدايتها، غير أن تداعيات استخدام العنف ضد متظاهري درعا وسقوط الشهداء شكلت الدافع الأكبر لخروج التظاهرة الأولى في مدينة السلمية بتاريخ 25 أذار حيث خرج بضعة أفراد على غفلة من الأجهزة الأمنية، تجمهروا في ساحة المدينة، وهتفوا للحرية لأول مرة تضامناً مع مدينة درعا، غير أن مراجعة شهادات الشباب الذين شاركوا في تلك التظاهرة وما تلاها توضح أن الدافع الاساسي للمشاركة كان مرتبطاً بالوضع العام الذي عاشته سوريا خلال فترتي حكم الأسد الأب والاسد الابن. (34)

تطور الحراك الثوري في المدينة والذي ظل مرتبطاً بفكرة السلمية، وعدم استخدام العنف في مواجهة القوى الأمنية، خلال نيسان من العام ذاته، وقد حرص النظام على عدم استفزاز المتظاهرين، بما يجعلهم يطورون حراكهم كما حدث في مناطق أخرى من سوريا، إذ كانت الأجهزة الأمنية تنهج سبيل اضفاء الطابع الطائفي "السني" على الحراك الثوري في سوريا، وهذا ما كانت تخرقه تظاهرات مدينة السلمية، التي اشترك فيها أغلب مكونات المدينة من الطوائف الإسماعيلية والسنية والعلوية، ومع تنامي التظاهرات قررت الأجهزة الأمنية اتباع تكتيك مختلف في مواجهتها، حيث بدأت ومنذ بداية شهر أيار بدفع العشرات من المؤيدين للنظام لمواجهة المظاهرات المناهضة له، وقد حدثت في يوم الثالث من حزيران مواجهات عنيفة بين الجهتين، تم فيها استخدام الحجارة من قبل المؤيدين "الشبيحة"، لضرب المتظاهرين، ولكن ورود الأخبار عن وقوع مجزرة بحق المتظاهرين السلميين في مدينة حماة أدى إلى تصعيد كبير في حركية ثوار المدينة حيث تروي إحدى الشهادات تفاصيل ما حدث: "في ذلك اليوم، في المساء ستبدأ الأخبار بالتوافد إلينا من حماه، المدينة الواقعة غرب مدينة السلمية، على بعد بضعة كيلومترات، في ذلك اليوم المشؤوم سيرتكب النظام مجزرة مروعة في المدينة، راح ضحيتها نحو مئة وسبعين شخصاً، وهي المجزرة التي سميت "بمجزرة أطفال الحرية" كانت حماه مدينة منكوبة في تلك الأثناء،

وعندما وصلت الأخبار إلينا، شعرنا بغضب عارم، خرج الشبان إلى الشوارع وبدأوا يطلبون من الأهالي التبرع بالدم، وما هي إلا ساعات قليلة حتى امتلأت الساحة بالناس من دون تنسيق مسبق، وباشروا تظاهرة سيرفع فيها لأول مرة شعار إسقاط النظام، كانت المدينة تغلي، وكان الغضب سائداً، ذهب الشبان إلى حماه في ظروف غاية في الخطورة لإيصال أكياس الدم إلى المستشفيات؛ أذكر تماماً كيف أن المدينة لم تنم تلك الليلة، كان يسود جو من التكاتف الاجتماعي قل نظيره، كان الغضب أقوى من القمع، والإصرار هو اللغة السائدة بين الناس، ومنذ تلك اللحظة ستعم التظاهرات الشوارع، وستُخرج حماه نحو نصف مليون متظاهر إلى الشوارع، بينما مدينة السلمية ستمتلئ شوارعها بآلاف المتظاهرين من رجال ونساء، مجتمعين جميعهم على مطلب الحرية." (35)

وبالتوازي مع حراك مدينة السلمية، وجد الناشطون في مدينتي مصياف والقدموس أنفسهم أمام معادلة صعبة، بسبب الوضع الطائفي الصعب في المدينة وبسبب حرص النظام على عدم خروج التظاهرات في المدينة، فالتظاهر في مصياف "كالتظاهر في فرع أمن" (36) كما تم توصيف الوضع من قبل الناشطين. وقد سجل هؤلاء حضورهم في التظاهرات الكثيفة التي شهدتها مدينة حماة، ولكن التظاهرات الأولى في المدينة تأخرت إلى ما بعد مرور ثلاثة شهور بداية الثورة السورية وتحديداً بتاريخ 2011/6/22، حيث انطلقت التظاهرة من أمام مقر حزب البعث في المدينة، وقد سبق هذه المظاهرة بيان أصدره مجموعة من أهالي المدينة جاء فيه: "إن أهالي منطقة مصياف جزء من الشعب السوري وإن ما يحصل للمتظاهرين من قتل مباشر وقمع وتعذيب في المعتقلات أو تشويه صورتهم وذلك بتحويل حراكهم السلمي الى مجازر أو الى أعمال شغب من قبل قوى الأمن. هو جرائم بحق الشعب السوري الذي نحن جزء منه , وهذه الجرائم لن تجلب للساكت عنها إلا العار, كما يهيبون بأبناء المنطقة من ضباط وعناصر الجيش والأمن أن يمتنعوا عن قتل الأبرياء من المتظاهرين السلميين اللذين هم أبناء الوطن, ويطالبون النظام السوري بالكف عن التحريض الطائفي والمذهبي في مصياف وكامل سوريا عبر أجهزة المخابرات ووسائل إعلامه المعروفة ,

والبدء بالتغيير والانتقال السلمي للسلطة وذلك حقناً للدماء وكسباً للوقت وحفاظاً على الاقتصاد الوطني ودرئاً للتدخل الخارجي الذي بات وشيكاً. وأخيراً نقول : إن الانصياع لمطالب الشعب ما هو إلا مدعاة فخرٍ وعزة , كما أن تجاهل الشعب مدعاة للخزي والعار, والتاريخ لا يرحم أحداً." (37)

وبتاريخ 2011/8/20 تحول تشييع الشهيد محمد وطفة الذي قضى أثناء أداء خدمته العسكرية، إلى مظاهرة عارمة هتفت للشهيد والحرية. وفي اليوم التالي اقتحمت الأجهزة الأمنية وقطعان الشبيحة مصياف ما تسبب باستشهاد الناشط موفق زينو.

وقد كرس شباب الحراك الثوري في مصياف تجربتين هامتين في سياق الثورة السورية، الأولى وهي قيام الثوار بالزيارات الثورية حيث سجلت مشاركة شباب مصياف في العديد من التظاهرات في مدينتي حماة وحمص. والثانية هي تكتيك المظاهرات الطيارة أي تلك المظاهرات التي يخرج بها عدد قليل من المتظاهرين ولمدة زمنية وجيزة ثم يغادرون بعدها المكان قبل وصول الشبيحة والأجهزة الأمنية للمكان، وقد كان الهدف من كلا الابتكارين هو تثبيت مشاركة مصياف كمدينة في الحراك الثوري السوري. وذلك في محاولة للخروج من الحالة القاسية التي فرضت على مدينة مصياف ذات الأغلبية الإسماعيلية. حيث يشكل المحيط العلوي حولها حالة قامعة تم تكريسها عبر قيام شبيحة هذه المناطق بالدخول وبشكل دوري إلى المدينة والقيام بمسيرات "تشبيحية" يقومون خلالها بالهتاف باسم زعيم النظام واطلاق الرصاص بالهواء بهدف تخويف السكان. وبسبب الوضع شديد السوء المطبق على حركة الناشطين في مدينة القدموس، بالإضافة إلى دقة الوضع فيها من حيث كثافة وجود "الشبيحة"، فقد لجأ الناشطون إلى الذهاب إلى مدن أخرى لتظاهر والقيام بالأعمال الثورية. (38)

اقتحام حماة..

قامت قوات النظام باقتحام مدينة حماة بتاريخ 2011/7/31، بالدبابات من كل الاتجاهات بعد نحو شهر من حصارها، منهية "ربيع" حماة الخاص الذي وصل إلى ذروته في ساحة العاصي، عبر نصف مليون متظاهر خرجوا

يهتفون لإسقاط نظام الأسد. وقد تلا هذا الاقتحام قيام الأجهزة الأمنية باعتقال العشرات من ناشطي مدينة السلمية، واستدعاء المئات للتحقيق معهم، وقد ظهر للجميع بأن هناك قرار بإنهاء الحراك الثوري في كلا المدينتين بأي شكل من الأشكال، وقد فرض هذا الواقع الجديد على الناشطين الثوريين في عموم المحافظة، ومن بينهم ناشطي السلمية ومصياف والقدموس، تغييراً قاسياً في برنامجهم الثوري، فبدلاً من المظاهرات الكبيرة التي بلغ عدد المشاركين فيها عشرات الآلاف، بات المتظاهرون يخرجون بأعداد قليلة خشية تعرضهم لهجوم الأجهزة الأمنية، وتحول النشاط العلني إلى السرية مرة أخرى، وبدلاً من التركيز على التظاهر تحول الكثيرون نحو العمل على إغاثة اللاجئين الذين وفدوا إلى المدينة من حماة وحمص، وشيئاً فشيئاً تراجع النشاط الثوري تحت الضغوط الأمنية الكبيرة، وبسبب ازدياد نشاط الشبيحة الذين غلب عليهم اللون الطائفي العلوي، والذين وفدوا إلى السلمية من القرى المجاورة للمدينة كخنيفس، وشكارى، والمخرم، أم العمد، وصبورة، بالإضافة إلى الشبيحة "السلامنة" أنفسهم والذين برزت منهم عائلة سلامة، التي استمدت قوتها من العميد أديب سلامة رئيس فرع المخابرات الجوية في حلب، حيث تم تزويد أفرادها بالأسلحة الخفيفة ليشكلوا ميليشيا حقيقية، تقوم باعتقال الناشطين وسجنهم في سجونها الخاصة، قبل أن تسلمهم للأجهزة الأمنية، وفي الوقت نفسها تستبيح حياة "السلامنة"، عبر تكريس حالات الخطف من أجل طلب الفدى، وعمليات ترهيب السكان واللاجئين عبر إطلاق العيارات النارية بشكل يومي حول المدارس التي أوت النازحين لإخافتهم وإخراجهم منها. واعتقال من يساهم في مساعدة اللاجئين، وقد بدا واضحاً أن النظام وأجهزته الأمنية قد وضع مخططاً يهدف إلى تفجير الحالة الطائفية في مدينة السلمية وريفها عبر دفع الإسماعيليين للاقتتال فيما بينهم، بعد أن ظهر انقسام حاد في المجتمع الإسماعيلي ذاته بين مؤيد للنظام ومعارض له، وكذلك دفعهم نحو الاقتتال مع العلويين، بعد أن فشل في فصل المكونات الطائفية عن بعضها، في الفترة السابقة عبر افتعاله لحوادث تهدف لإيقاع الشقاق بين الإسماعيلية وبين السنة من أهل المدينة. (39)

الانقسام الإسماعيلي- الإسماعيلي:

خرج القادة الروحيون للإسماعيلية النزارية من الظل في النصف الثاني للقرن الثامن عشر في ايران، وقد أدت التطورات السياسية في إيران في أواخر الثلاثينيات وبداية الأربعينيات من القرن التاسع عشر، إلى قيام الإمام السادس والأربعون، حسن علي شاه، بالهجرة إلى شبه القارة الهندية. وقد كان الإمام الأول الذي حمل لقب الآغا خان، والذي كان منحه إياه سابقاً الإمبراطور الفارسي فتح علي شاه. واستقر في بومباي في عام 1848 حيث أسس قيادته، وقد ساعد ذلك الجماعة على الحصول على الثقة والشعور بالهوية كمسلمين شيعة إسماعيليين، كما شكل بداية حقبة جديدة من التواصل بين الإمام وأتباعه ولاسيما منهم الإسماعيليين السوريين. فأتت الوفود لتلقي إرشادات الإمام وذلك من كل الأمكنة التي تعيش فيها الطائفة.

وفي عهد سلطان محمد شاه، الآغا خان الثالث، تميز النصف الأول من القرن العشرين باعتباره فترة من التطور الهام للجماعة الإسماعيلية. فتمّ تأسيس العديد من مؤسسات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في شبه القارة الهندية وفي شرق إفريقيا. بحسب تعبير الآغا خان الراحل: "من أجل المساعدة الإنسانية".

كذلك قدم الإمام سلطان محمد شاه أشكالاً تنظيمية أعطت المجتمعات الإسماعيلية وسائل لهيكلة وتنظيم شؤونهم الخاصة. وقد تم بناء ذلك على التقاليد الإسلامية للأخلاقيات المجتمعية من جهة، والضمير الفردي المسؤول مع حرية التفاوض (التداول) بشأن الالتزامات الأخلاقية للفرد ومصيره من جهة أخرى. وفي عام 1950 وضع الدستور الإسماعيلي الأول بهدف الإدارة (الحوكمة) الاجتماعية للجماعة في شرق إفريقيا.

كما وضع الدستور من ضمن ما وضعه المبادئ التوجيهية للتعاون والدعم المتبادل بين الإسماعيليين، وتعاملهم مع المجتمعات الأخرى.

تولى الآغا خان الحالي شاه كريم الحسيني الإمامة عام 1957. وكان الاهتمام المباشر للآغا خان الحالي منصباً على إعداد أتباعه، حيثما عاشوا، للتغييرات الكامنة مستقبلاً. واستدعى هذا الوضع المتنامي السرعة، إعداد مبادرات وبرامج جديدة تعكس الطموحات الوطنية الناشئة.

وفي عام 1986، أعلن عن دستور، كان لأول مرة، يؤمن إطار حكم للجماعة الإسماعيلية في العالم ضمن بنية واحدة، مع مرونة تأخذ بعين الاعتبار تنوع الظروف واختلاف المناطق. وقد ظهرت نتائج هذه التحولات على الطائفة الإسماعيلية في سوريا في العام نفسه، حيث أُعيد تنظيم الجماعة حسب الدستور الإسماعيلي، حيث ظهر المجلس الأعلى الإسماعيلي الذي تولى إدارة الشؤون الدينية للطائفة، وكذلك تنظيم المبادرات المرتبطة بتوجهات الآغا خان.

ويقوم هذا الدستور على أساس الولاء من قبل كل إسماعيلي لإمام الزمان، وهذا منفصل عن الولاء الدنيوي الذي يبديه جميع الإسماعيليين باعتبارهم مواطنين في كياناتهم الوطنية.

دستور الإسماعيلية يؤكد على ولاء الإسماعيلي لبلده كالتزام أساسي. وهذا الولاء لا يتم الإيفاء به من خلال الاستسلام السلبي، وإنما من خلال العمل المسؤول والالتزام الفعال بدعم السلامة الوطنية والمساهمة في التنمية السلمية. وقد شجع الآغا خان الإسماعيليين على الاستقرار في العالم الصناعي، وذلك من أجل المساهمة في تقدم المجتمعات في العالم النامي، من خلال برامج تنموية متنوعة. مؤطرة ضمن شبكة دولية من المؤسسات العاملة في مجالات تتراوح بين التعليم والصحة إلى التنمية الريفية والعمارة، والثقافة، وتشجيع استثمارات القطاع الخاص، وهي تشكل معاً شبكة الآغا خان للتنمية. وقد جرى التركيز على أن الالتزام بكرامة الإنسان والمساعدة الإنسانية هو الإلهام الحقيقي للمؤسسات الخيرية للإمامة الإسماعيلية. (40)

وقد دأب أفراد من المؤسسة الدينية الإسماعيلية طيلة العقود السابقة، على ترويج فكرة تقول بأن الآغا خان قد أمر أتباعه بعدم العمل في الشأن السياسي، وأنه يدعو الإسماعيليين للوقوف إلى جانب حكومات بلدانهم.. وربما يعود هذا الفعل إلى سياق دعوة الشباب في مدينة السلمية إلى عدم التورط في العمل السياسي السري، الذي أدى إلى وجود المئات منهم داخل معتقلات النظام، غير أن مراجعة كافة الخطابات والمقابلات التي أجراها إمام الطائفة مع الوسائل الإعلامية لم تظهر تعليمات واضحة تدفع الفرد

الإسماعيلي نحو الابتعاد عن السياسية كفعل مجتمعي، لا بل إن الأفكار أسست الدستور الإسماعيلي الجديد، تضع الإسماعيليين أمام استحقاقات مجتمعية مهمة، فالدستور كما سبق وأشرنا يؤكد على ولاء الإسماعيلي لبلده كالتزام أساسي. وهذا الولاء لا يتم الإيفاء به من خلال الاستسلام السلبي، وإنما من خلال العمل المسؤول والالتزام الفعال بدعم السلامة الوطنية والمساهمة في التنمية السلمية. كما أن الالتزام بكرامة الإنسان والمساعدة الإنسانية هو الإلهام الحقيقي للمؤسسات الخيرية للإمامة الإسماعيلية. وقد كرس إمام الطائفة شاه كريم الحسيني الكثير من تفاصيل خطاباته ولقاءاته من أجل دفع الفرد الإسماعيلي ليكون فاعلاً في مجتمعه عبر المساهمة الإيجابية في تنميته وتغييره نحو الأفضل. ولكنه لم ينكر عليه حقه في المشاركة السياسية مع ضرورة أن يكون الأمر ضمن الأطر الوطنية ذاتها، ولكن موقفه هو نفسه ونظراً لحساسية دوره المؤثر في حياة ملايين الإسماعيليين، يظهر ميله إلى الابتعاد عن المباشرة السياسية وعدم اتخاذ مواقف سياسية حادة. (41)

هذا الموقف من العمل السياسي المباشر، تم اتخاذه ذريعة من قبل الكثيرين من الإسماعيليين الذي رأوا في الحراك السياسي الثوري أمراً قد يهدد حياتهم الخاصة، وقد يؤدي من وجهة نظرهم إلى تدمير المجتمع السوري، ما أدى إلى انقسام واضح في المجتمع السلموني المتدين، انقسام جعل البعض ممن استلبتهم دعاية النظام، ومصالحهم الخاصة، إلى العمل ضد الحراك الثوري، وبشكل تجاوز الدعوة الكلامية للنهي عن المشاركة في الحراك، ليصل إلى الاندماج في اللجان الشعبية التي شكلتها الأجهزة الأمنية بدعوى الحفاظ على السلم الأهلي في المدينة، واستلام الاسلحة التي أغوت ضعاف النفوس من الشبيبة الإسماعيلية ليقوموا بممارسات سلطوية قمعية ضد أبناء طائفتهم ذاتها. وقد حاول الشباب الإسماعيلي المتدين المشارك بالحراك الثوري أن يعيد الأمور إلى نصابها الصحيح، بما يخص فكرة رفض المشاركة السياسية، فقام البعض منهم بتأسيس صفحات على شبكات التواصل الاجتماعي، يدعون فيها إلى عدم القبول بما يتم ترويجه من قبل أصحاب المصالح في الطائفة، وقد برزت من هذه الصفحات واحدة حملت اسم "فكر

الآغا خان والثورة السورية"، حاولت الربط بين أفكار إمام الطائفة وبين صحة موقف الإسماعيليين بالمشاركة مع الثورة. وقد جاء في بيان هذه المجموعة قولهم: "نحن مجموعة من الشباب الإسماعيلي الحر الملتزمين بالدين الإسماعيلي وبهداية إمام الزمان وتطبيق فرماناته للسير على الطريق المستقيم لنيل الدارين الدنيا والآخرة فخرجنا في المظاهرات وشاركنا الشعب السوري ثورته المباركة من أجل نيل حريته وكرامته والقضاء على الظلم والفساد المستشري في كيان الدولة من أجل أن نصل إلى دولة ديمقراطية تعددية يشارك فيها جميع أبناء الوطن بكامل طوائفه وأعراقه في بناء الدولة واختيار من يحكمهم. فقابلنا أبواق النظام المنتمين الى الطائفة الإسماعيلية ومن يجرون ورائهم من قليلي الثقافة والايمان بالإهانات والاتهام بالخيانة والتعامل مع الخارج والخروج عن تعاليم الامام والفتنة والطائفية ومارسوا علينا التضييق في الشارع والمسجد والمجالس الإسماعيلية وللأسف هؤلاء يستلمون مناصب كبيرة في المجالس والمساجد. فقررنا الرد عليهم بكلام امام الزمان الذين تجاهلوه ووضعوه وراء ظهورهم فاصبح زعيم العصابة بشار الاسد هو مولاهم ويقاتلون ويشبحون في سبيله الذين وصفهم الله بقوله: "وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً " النساء76 تعيش سورية حرة ابية". (42)

وقد أوردت هذه الصفحة وضمن مسار زمني امتد من الشهر العاشر في العام 2011 وحتى الشهر الثاني من العام 2002، العديد من تفاصيل الخطب الإمامية التي حضت الإسماعيليين على المشاركة في التغيير السياسي، وبشكل يناقض ما كان يردده مؤيدو النظام من دعوة للاستسلام لخياراته، وقد حاولت أيضاً كشف التزوير الذي مارسه هؤلاء على أقوال الإمام، ومما جاء على الصفحة في هذا السياق: "كثيرا من الابواق الإسماعيليين يرددون: قال الامام: "كونوا مع حكوماتكم" فلذلك يجب ان نكون مع نظام الحكم بغض النظر عن طبيعته. الرد عليهم : الفرمان الاصلي ينص: "كونوا مع الحكومات التي تدعم امنكم واستقراركم " فهذا هو النص الاصلي الذي حرفوه واقتطعوا منه فأصبحوا مثل الذين قالوا "لا تقربوا الصلاة" من دون تكملة فحق قوله تعالى عليهم { وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ

يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }البقرة75 فأقول للإسماعيليين :أي أمن وأي استقرار يحققه النظام اذا اصبح عدد القتلى بالآلاف والمعتقلين بعشرات الآلاف وقطعت اوصال البلاد والوضع الاقتصادي متدهور ولكن بالعكس سقوط النظام يؤدي الى الهدوء وعودة الاستقرار الى سوريا." (43)

ورغم محاولة مؤيدي النظام اختطاف الطائفة كلها، عبر جعل الإسماعيليين ككتلة أساسية في المجتمع السوري تقف ظاهرياً مع النظام، إلا أن حركية الثورة في مدينة السلمية ومع دخولها عامها الثاني، كانت تذهب في الاتجاه المناقض تماماً، فالكثير من شباب السلمية الذين باتوا مطلوبين للأجهزة الأمنية انتشروا في بقاع سورية قريبة وبعيدة عن السلمية، ليعملوا مع تنسيقيات في مناطق غلب عليها اللون الطائفي السني، وفي الكثير من التظاهرات التي كانت تنقل عبر وسائل الإعلام كانت ترفع اللافتات التي تحيي مدينة السلمية بوصفها مدينة ثائرة، لا بوصفها مدينة الطائفة الإسماعيلية. ما أدى في المحصلة إلى حرق الورقة الطائفية التي حاول اللعب عليها مع الإسماعيليين المنضوين تحت لواء الثورة، ولكن أجهزة النظام لم تيأس من الأمر فلجأت إلى محاولات تشويه صورة المؤسسة الإسماعيلية الدينية، عبر الادعاء بأنها تقوم بنقل الإسماعيليين من مناطق الاشتباكات في مدينة دمشق إلى منطقة السلمية، محاولة اكساب العملية بعداً طائفياً عبر الادعاء بأن الإخوان المسلمين يستهدفون الإسماعيليين. (44) غير أن هذا الادعاء فشل في إحداث الشقاق الذي يخدم أجندة النظام، إذ قام الكثيرون من الشباب الثوري بالرد على هذه الادعاءات.

السَلمية، من السِلمية إلى الثورة المسلحة:

بتاريخ 30-6-2012 شيعت السلمية الشهيد جمال فاخوري من سكان السلمية (ينتمي للطائفة السنية)، الذي قتل من قبل حاجز للأمن العسكري في بلدة زملكا بريف دمشق مع طبيب بتهمة إيصال الدواء إلى الثوار. وأثناء التشييع بدأ إطلاق النار من قبل قوات النظام فاستشهاد الشاب علي القطريب وأصيب أكثر من 25 مواطنا بجراح.

كانت هذه الحادثة مؤشر على دخول السلمية منعطفاً حاداً، سيؤدي حتماً إلى ظهور الحراك المسلح فيها، رغم إصرار الناشطين الثوريين على ضرورة ابقاء حراكهم سلمي، وذلك لسببين أساسيين أولهما الرغبة في الاحتفاظ بصورة الثورة كما جاءت منذ بدايتها، وثانيهما دقة الوضع الإنساني في المدينة التي استقبلت عشرات الألوف من النازحين من مناطق شتى من سوريا، والتي قام ناشطوها من الطوائف الأساسية الثلاث، بمحاولة تأمينهم. بالإضافة إلى محاولتهم إيصال الإمدادات الغذائية إلى السكان المحاصرين في المناطق القريبة، التي أدت إلى استشهاد بعضهم على حواجز قوات النظام. (45)

أحد الناشطين عبر عن المعادلة الصعبة التي عايشها الثوار في مدينة السلمية بالقول: "وهكذا تم تحويل العنف الممارس من طرف واحد هو السلطة إلى عنف طائفي. ونحن في مدينة السلمية وبسبب التعايش الفطري والعفوي بين مختلف الطوائف كما هو شأن المجتمع السوري عامة؛ أدركنا لعبة السلطة هذه وقررنا مقاومتها عبر التصميم على المزيد من الانخراط في فعاليات الثورة، وعدم الانكفاء والانصياع إلى رغبات حكومة الأسد، وذلك بسبب الوعي السياسي العالي للناشطين وعراقة المدينة في مقاومة الاستبداد منذ بداية عهد الأسد الأب". (46)

غير أن الضغوط التي مارستها سياسة النظام، عبر دعمه للشبيحة، الذين توزعوا بين مدينة السلمية والقرى المحيطة بها، أدت في النهاية إلى ظهور تيار من الشباب الإسماعيلي الثائر ذهب إلى القبول بخيار رفع السلاح ضد النظام وشبيحته، وهكذا تشكلت أول كتيبة بشكلٍ غير معلن تحت اسم كتيبة "درع البادية" بتاريخ1-10-2012 لتجمع ضمنها عدداً من المجموعات المسلحة الصغيرة المتفرقة، وبعد عدة شهور شباب انفرط عقد هذه الكتيبة ليشكل أفراد منها كتيبة جديدة حملت اسم "كتيبة شباب سلمية"، ولتتأسس أيضاً "كتيبة أحرار سلمية" التي بدأت بنشاطها بالتعاون مع كتائب الفاروق في المنطقة، وبتاريخ بتاريخ 2013/3/11 أعلنت مجموعة من أبناء السلمية بيان تشكيل "لواء شهداء مدينة السلمية – كتائب الوحدة الوطنية التابع للجيش السوري الحر الذي يضم كل من كتيبة فوزي القاوقجي وكتيبة ثوار

الشميميس وكتيبة يوسف العظمة" وقد جاء في البيان أن تشكيل هذا اللواء قد جاء "للدفاع عن تراب الوطن الغالي وكرامة شعبنا وحقوق أفراده بغض النظر عن معتقده وانتمائه الديني والمذهبي والسياسي، وحق المساواة بين كافة المواطنين هادفين إلى بناء الدولة المدنية التعددية الديمقراطية والحفاظ على السلم الأهلي وملاحقة من ارتكب جرائم ضد الشعب السوري من الشبيحة والأمن والجيش على اختلاف انتماءاتهم ورفع الغطاء عن التجاوزات التي حدثت أو قد تحدث في صفوف الثوار أو من يحسبون أنفسهم عليهم." (47)

وفي تحري التوجهات التي عملت من خلالها هذه الكتائب على العموم، توضح المتابعة أنها ظلت تمارس عملها العسكري بالتعاون مع الكتائب الإسلامية، دون أن تحصل حوادث تؤشر إلى توجه طائفي ضد سكان القرى العلوية في محيط مدينة السلمية، بل إن عملها ظل مركزاً حول السيطرة على النقاط العسكرية المتقدمة لقوات النظام في المنطقة، ومحاولة قطع خطوط الإمداد التي تمر في المنطقة، حيث قال أحد قادة هذه الكتائب في تصريح صحفي: "لمدينة السلمية أهمية كبيرة لوقوعها على طريق دمشق-الرقة، كما تعتبر أهم نقطة وصل بين الشمال والجنوب السوري، وبين الشرق والغرب، إذ إنها تتوسط المنطقة الوسطى في سورية وتعتبر عقدة ربط بين معظم المحافظات السورية، فهي هامة لكل الأطراف، فبالنسبة لقوات الأسد هي نقطة آمنة يستخدمها لحشد الأرتال والشبيحة وإرسالهم باتجاه المحافظات التي تدور بها رحى المعارك، كالرقة ودير الزور وحلب وحمص وريف حماة، أما بالنسبة لكتائب الثوار فهي نقطة استراتيجية هامة جدا، وفي حال تمكن الثوار من السيطرة عليها فهذا يعني أنه قد تم قطع يد النظام التي تمتد باتجاه الشمال والشرق السوري، بالإضافة إلى أنها أوسع بوابة للدخول إلى حماة وحمص وفك الحصار عنها (...) للقرى الموالية دور كبير في الحفاظ على نقاط متقدمة دفاعية عن قوات الأسد، فمهمتها ضرب الثوار وإيقاف تقدمهم وقد سلّحت قوات الأسد سكانها وزجت بهم في المعركة عن طريق تنظيمهم بما يسمى بمليشيا "اللجان الشعبية" أو "جيش

الدفاع الوطني"، وهم موجودون ضمن القرى بين الأطفال والنساء وهذا ما يمنع عنهم يد الثوار ويؤمن لهم حماية مؤقتة". (48)

التفجيرات الإرهابية واللعب على الوتر الطائفي:

وقعت في مدينة السلمية ومنذ بداية العام 2013 عدة انفجارات، نتجت عن الاستهداف بسيارات مفخخة (تفجير معمل السجاد بتاريخ 2013/1/21 وتفجير قرية الكافات بتاريخ 2014/1/9)، إلى الإضافة إلى مقتل عدد من أبناء المدينة في مكان عملهم حين استهدف تفجير بوابة معامل وزارة الدفاع في مدينة حماة بتاريخ 2013/2/6، كما تعرضت المدينة لقصف بالهاون من مصدر لم يتم التحقق منه بتاريخ 2013/8/11.

وقد سقط العشرات أبناء مدينة السلمية ومدن مصياف والقدموس، من المتطوعين في جيش الدفاع الوطني ومن العاملين في الأجهزة الأمنية وتشكيلات الجيش السوري، قتلى في حوادث الاشتباكات مع كتائب الجيش الحر والفصائل الإسلامية، ورغم أن البعض قد حاول ولأغراض التجييش الطائفي الذهاب نحو إسباغ صفة "التأييد للنظام" على مدينة السلمية وعلى الطائفة الإسماعيلية، إلا أن علاقة ثوار السلمية ومصياف والقدموس بالحراك الثوري في كل الأراضي السورية، كانت تشكل رداً على هذه الادعاءات (49)، غير أن دخول فصائل الجهادية السلفية على خط العمل المسلح ضد النظام السوري خلق وضعاً عصيباً على أبناء الطائفة الإسماعيلية المشاركين في الثورة، فقد بات هؤلاء في حالة مواجهة مع النظام الذي يستهدفهم عبر الاعتقال والقتل، ومع الفصائل التي ترى أن أبناء الطائفة يجب استهدافهم بوصفهم من الأقليات المكفرة.

وقد لعب النظام على هذا الوتر، في كل ما حصل من أحداث في مدينة السلمية، كما فعل في المناطق السورية بشكل عام. وهنا توجب مقاربة التفاصيل توضيح وجود نسبة غير قليلة من الإسماعيليين ممن يقاتلون مع قوات النظام، وهؤلاء إما متطوعون في صفوف الجيش والأمن، وإما من المنضوين في صفوف الشبيحة وجيش الدفاع الوطني. ومقابل هؤلاء ثمة العشرات وربما المئات من الإسماعيليين الذين يقاتلون في كتائب الجيش

الحر في ريف السلمية وفي أمكنة أخرى من الأرض السورية، بالإضافة إلى وجود عشرات المنشقين عن أجهزة النظام ممن انضموا للثورة.

هذا الوضع الذي يعيشه أبناء الطائفة الإسماعيلية، يقارب تماماً الوضع العام لدى كل الطوائف السورية، وإن كان للسلمية وضعها الاستثنائي من حيث مشاركتها وبشكل مبكر في الحراك الثوري. غير أن الانتماء إلى الأقليات المذهبية جعل الإسماعيليين عرضة للهجوم من قبل الكثيرين ممن تأثروا بالدعاية التحريضية للفصائل الجهادية المتطرفة. فذكر أسماء ضحايا التفجير الذي استهدف معامل وزارة الدفاع في حماة تحول إلى مادة سجالية، بعد أن قامت بعض الصفحات الثورية بذكر أسماء الضحايا السنة وأغفلت أسماء الإسماعيليين (50)، كما أن الاتهامات بقصف المدينة بقذائف الهاون وجهت إلى بعض الفصائل الإسلامية المرابطة حول المدينة. (51) كما أن استهداف قرية الكافات كان عرضة للتجاذب بين اتهام تنظيم دولة الإسلام في العراق والشام، وبين اتهام النظام نفسه بتدبير الأمر. طالما أن النتائج عما يحصل كله كانت تذهب باتجاه خدمة أهداف النظام في تجييش الطائفة الإسماعيلية ضد الثورة السورية.

خاتمة

حاول النظام السوري ومنذ الأيام الأولى للثورة السورية، تحويل الأنظار من المشهد الأساسي الذي يظهر طبيعة الثورة على أنها ثورة شعبية ضد نظام مستبد، إلى مشهد ثانوي قوامه البؤر الطائفية المستورة بحكم سلطة الاستبداد ذاتها، وإذا كانت تفاصيل بنية النظام قد تراكمت ظاهرياً أمام الكثير من الشرائح الشعبية على أنها بنية طائفية، إلا أن الوقائع الدقيقة تظهر حقيقة أن النظام قد جيش حوله فئةً كبيرة من المستفيدين من وجوده، وقد جاءت هذه الطائفة عابرةً لكل الطوائف، غير أن النظام سعى ومنذ البداية إلى تطبيق نظرية "القطيع التائه" (52) والتي "تسعى لزرع الخوف المستديم في النسيج الاجتماعي بشكل عام أو يجري تفكيكه إلى طوائف وأعراق ويمارس كل جهد تلك الفلسفة تجاه المكون المستهدف ليجري استقطابه وخندقته"، وقد نجح النظام في تطبيق هذه السياسة بشكل واسع على الطائفة العلوية، وذلك

لارتباط قسم كبير من هؤلاء بمؤسسات النظام الأمنية والعسكرية وقد استجاب هؤلاء وبشكل واعٍ لهذه الآلية بسبب من تراكم مفاهيم "مظلومية" الطائفة تجاه محيطها في مراحل تاريخية سبقت قيام الدولة السورية، وبسبب من عدم حل المشاكل البينية بين أفراد الطائفة وبين الطوائف التي شاركتها الجغرافيا السورية، مما جعل العلويون يذهبون إلى حيثيات ذهنية تجعلهم يعتقدون بأن غياب النظام الحالي سيؤدي حتماً إلى قيام الطوائف الأخرى بعمليات انتقامية.(53)

وبالتوازي مع الخندقة المباشرة للطائفة العلوية، أشتغل النظام على خلق بؤر توتر طائفي بين الطوائف الأخرى بين بعضها من جهة وبين هذه الطوائف مع محيطها السني.

غير أن انضمام طيفٌ واسع من الإسماعيليين في مدن السلمية ومصياف والقدموس، وفئات كثيرة من طوائف أخرى، فوت على النظام أن ينجح في الوصول إلى تجييش طائفي كامل بين كامل مكونات المجتمع السوري.

وبالتالي فإن الاستغراق في تحليل انضمام الإسماعيليين إلى الثورة من الزاوية الطائفية، يبدو بعيداً عن الواقع، ففي أغلب المدونات الإسماعيلية التي أسست للذهنية الراهنة لدى أبناء هذه الطائفة، لا نعثر على أي نص يفيد بوجود حالةٍ ثأرية طائفية، يقوم الفعل الثوري ويمضي وفقها، وحتى في المرحلة التي سبقت قيام الثورة، فإن أغلب ما كتب عن البؤرة الطائفية بين الطائفة الإسماعيلية وبين الطائفة العلوية، لم يكتب على يد كاتب إسماعيلي، بل كتب بقلم كتاب من الطائفة العلوية (54)، أو من قبل كتاب أخرين اشتغلوا على الأمر إما بغرض التوثيق أو بغرض إظهار مثالب تاريخ الطائفتين.

ومن خلال المعطيات التي ظهرت لنا في تتبع مسار حركة الإسماعيليين المنضوين في الثورة السورية، فإننا نستطيع الإفادة بالتالي:

1- انضم جزء كبير من شباب ورجال الطائفة الإسماعيلية، إلى الثورة السورية بوصفها مشروع ثوري يقوم على شعارات أساسية، كالحرية

و الكرامة و العدالة الاجتماعية. وقد تحمل أبناء هذه الطائفة ضريبة موقفهم الوطني مثلهم مثل كل أبناء الشعب السوري(55)

2- رغم محاولة النظام بأجهزته الأمنية والإعلامية إلحاق صفة الطائفية بالثورة السورية، عبر خندقة طوائف المجتمع معه، إلا أن مشاركة مدينة السلمية بغالبيتها الإسماعيلية والطوائف الأخرى بالتظاهرات السلمية، كان يعري محاولات النظام، ويعطل مساعيه الهادفة إلى جعل الثورية ثورة السنة ضد النظام الذي يحمي الأقليات.

3- لم تنجح محاولات النظام في جر الطائفة الإسماعيلية إلى التصادم مع الطائفة العلوية من المواقع الطائفية، رغم وجود بؤر لتجدد الصراع، موروثة من الماضي القريب، ورغم وصول هذه المحاولات على يد شبيحته إلى مرحلة بالغة الوضوح (56)، وقد فشلت هذه المحاولات بسبب إدراك الثوار الذين تغلب شعارات المدنية والديموقراطية على توجهاتهم، ضرورة تفويت الفرصة على النظام، حيث أن التصادم الطائفي، سيكرس وجوده ويديم حربه ضد الثورة.

هوامش:

1- لم تقم أي جهة رسمية سورية بنشر احصائية موثقة توضح الحجم والتوزع الحقيقي للطوائف في سوريا، وأغلب ما تم نشره من هذه الإحصائيات هو تقديري، وقد جاء في دراسة نشرها الباحث جورج كدر تحت عنوان "سوريا وديمغرافية ما بعد الثورة": " نادرة هي الدراسات الإحصائية الرسمية المنشورة عن الديمغرافية الدينية في سوريا، منها نسبة نقرأها في كتاب نشرته وزارة الإعلام السورية عام 1982 بعنوان "سوريا اليوم"، وفيه أن "86 بالمئة من سكان سوريا مسلمون، و13,5 بالمئة مسيحيون، أما اليهود فبضعة آلاف"، وبالطبع يندر اليوم الوجود اليهودي في سوريا. وهناك دراسة أخرى تعود لإحصاء نُشر في العام 1984 تشير إلى أن "عدد المسلمين السنَّة 76.1%، و11.5 بالمئة علويون، و3 بالمئة دروز، و1 بالمئة إسماعيليون، و4.5 بالمئة مسيحيون، و0.4 بالمئة شيعة اثنا عشرية". وفي تقرير الحرية الدينية الدولية في العام 2006 الصادر عن وزارة الخارجية الأميركية جاء أن في سوريا التي يبلغ عدد سكانها 18 مليون نسمة (اليوم قرابة 22 مليون نسمة) يُمثِّل المسلمون السنَّة بـ 74 بالمئة (حوالي 12600000 نسمة)، فيما يقدِّر التقرير عدد العلويين والإسماعيليين والشيعة بـ 13 بالمئة من عدد السكان (نحو 2.2 مليون شخص)، فيما يشكِّل الدروز 3 بالمئة حوالي (500 ألف نسمة). أما الطوائف المسيحية المختلفة فيقدرهم التقرير بـ 10 بالمئة من السكان (حوالي 1.7 مليون نسمة). ومن الأقليات الدينية الطائفة اليزيدية ويتركز وجودهم في منطقة الجزيرة السورية شمال شرق سوريا. وفي كتاب (الصراع على سوريا الطائفية والإقليمية والعشائرية في السياسة) للدكتور نيقولاس فاندام الدبلوماسي الهولندي المخضرم(4) يقول (ص 16-17): إن التقسيم الفرعي للسكان نسبة إلى اللغة والدين يكشف لنا أن 82.5 بالمئة يتحدثون العربية و68.7 بالمئة مسلمون سنيون. ونجد أن المسلمين السنيين الذين يتحدثون العربية يشكِّلون أغلبية عددية قوامها 57.4 بالمئة من مجموع السكان من حيث اللغة والدين، أما المجموعات المتبقية فيمكن أن تُصنَّف كأقليات عرقية أو أقليات دينية؛ وأكبر الأقليات الدينية في سوريا هم العلويون 11.5 بالمئة، والدروز 3 بالمئة، والإسماعيليون 1.5 بالمئة، فيما يشكل المسيحيون الروم الأرثوذكس 4.6 بالمئة وهم أهم الجاليات المسيحية في سوريا التي تبلغ نسبتها 14.1 بالمئة."، راجع الرابط:

http://studies.aljazeera.net/reports/2012/08/201288101614191968.htm

2- للتوسع في قراءة تاريخ الطائفة الإسماعيلية، يمكن العودة إلى كتاب عارف تامر "تاريخ الإسماعيلية" دار رياض نجيب الريس 1991، وإلى مؤلفات الدكتور فرهاد دفتري "الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم"، كامبردج 1990، "خرافات الحشاشين: أساطير الإسماعيليين"، لندن 1994. "مختصر تاريخ الإسماعيليين"، إدنبرة 1998. "الأدب الإسماعيلي"، لندن 2004. كما يمكن مطالعة العديد من الأبحاث المنشورة على الشبكة، ولاسيما منها: " الفروق البارزة بين الإسماعيلية والاثني عشرية" على الرابط:

http://www.altanweer.net/articles.aspx?id=20086&selected_id=-200860006&page_size=5&links=true

والبحث الهام الذي كتبه الباحث الإسماعيلي خالد المير محمود بعنوان "الإسماعيليون الطائفتان المؤمنية والقاسمية"، على الرابط:

http://readz.top-me.com/t811-topic

3- أصدر السلطان العثماني "فرماناً" قضى بإعمار مدينة السلمية وهذا نص الفرمان: "من حضرة السدة السلطانية العليا الى والي الديار الشامية: يأتي أمرنا جواب المعروض المقدم من اسماعيل الأمير محمد بن سليمان الساكن في جبال الإسماعيلية في ولاية طرابلس الشام ,بالسماح له بإسكان من يراه من عشيرته وأبناء قبيلته أراضي الجفتليك الواقعة شرقي نهر العاصي وحتى بادية الشام وجبال الشومرية وجبال العلا, يقسمها بينهم بمعرفته طبقاً لرغبتنا في اعمار شرقي نهر العاصي من الديار الشامية , وله الحق في تجنيد أربعين عسكرياً واقتناء السلاح للدفاع عن كل الاراضي التي بحوزته والسماح له من الضرائب الخاصة بالدولة بأنواعها, ولا يؤخذ من جماعه الى الخدمة العسكرية إلا من يريد الخدمة بالكيف والقبول, وعلى والي الديار الشامية إبلاغ متصرف حماة تطبيق نص الفرمان السلطاني وتقديم المعونة لإسماعيل الأمير محمد". يراجع كتاب "سلمية في خمسين قرناً" ص152.

4- يقول مؤلف كتاب بحوث في الملل والنحل بأنه: "كانت هناك محاولات للتقريب بين عقائد الإسماعيلية والعلويين باءت بالفشل بمساعي مشايخ العلويين العلماء على رأسهم حاتم الطوياني سنة 745 هـ"، راجع "بحوث في الملل والنحل، المجلد 8، ص 416. ويراجع كتاب: "تاريخ العلويين، محمد أمين غالب الطويل، ص378.

5- نقلاً عن دراسة للباحث أبي حسن تحمل عنوان "العلويون من قبلُ ومن بعدُ" منشورة في موقع الجمل بما حمل، على الرابط:
http://www.aljaml.com/node/61244

كما يمكن مراجعة ص239 من كتاب "تاريخ العلويين وأنسابهم", تأليف المحامي محمد خوندة, ط1, 2004, دار المحجة البيضاء- بيروت.

6- عبّر المؤرخ العلوي محمد أمين غالب الطويل عن المنحى الذي ذهبت إليه الذهنية الغالبة لدى العلويين في تلك المرحلة فقال: "ولما كان لابد للضعيف المظلوم من التوسل بالخيانة لكي يحافظ على حقوقه أو يستردها. وهذا أمر طبيعي يساق إليه كل انسان. كان العلويون كلما غصب السنيون أموالهم وحقوقهم يتوسلون بغدر السنين عند سنوح الفرصة. وقد سقطت الأخلاق وكثر المذب واستبيح مال الغير حتى وصل العلويون إلى حالة تعادل حالة من كانوا في دور الجاهلية بعد ما كان مهداً ووطناً للورع والتقى". راجع كتابه تاريخ العلويين، ص400.

غير أنه من الضروري الإشارة هنا إلى محاولات الدولة العثمانية في منتصف القرن التاسع عشر إصلاح الوضع الاجتماعي والاقتصادي للطائفة العلوية، حيث تتحدث الوقائع التاريخية عن أن العثمانيين وبحسب الباحث التركي نجاتي ألكان حاولوا تغيير "مسلكهم السلبي منذ البداية تجاه النصيريين بدرجة كبيرة اعتبارا من منتصف القرن التاسع عشر. وكان تدخل القوى الأوروبية في السياسة العثمانية الداخلية أحد العوامل التي أسهمت في ذلك. أُرغمت الدولة العثمانية على الاعتراف بالنُصيريين كطائفة دينية لها حقوق. وثمة عامل آخر دفع الإدارة العثمانية إلى الاقتراب أكثر من النصيريين وهو توسع النشاط التبشيري للبروتستانت الإنجليز والأمريكيين لدى الطوائف الإسلامية الصغيرة. أرغم اختراق البعثات التبشيرية للنصيريين السلطان عبد الحميد الثاني (حكم ما بين عامي 1876-1909) على دمجهم في جماعة المسلمين وتقريبهم إلى المذهب الحنفي، أحد مذاهب الفقه السني الأربعة. وكان بناء المساجد والمدارس في منطقة النصيريين وفي المناطق الأخرى التي توجد بها طوائف مشابهة يهدف لتحويل "الزنادقة" إلى رعايا طيبين وموالين. ورغم أن الوثائق العثمانية الرسمية تذكر تحول الآلاف من هؤلاء إلى الإسلام السني، فإن "المشروع الحضاري" لعبد الحميد لم يكلل في نهاية المطاف بالنجاح." راجع البحث المعنون بـ " فرق تسد تأسيس الدولة العلوية بعد الحرب العالمية الأولى" للباحث التركي نجاتي ألكان، ترجمة: أحمد فارو المنشور بتاريخ تشرين الثاني / نوفمبر 2013، على الرابط:

http://www.goethe.de/ges/phi/prj/ffs/the/a100/ar12239226.htm

7- يستخدم المؤرخ العلوي محمد أمين غالب الطويل عبارة "الصهيونيون"، للدلالة على سكان منطقة قلعة صهيون (قلعة صلاح الدين) والتي تقع شرقي مدينة اللاذقية قرب مدينة الحفة، والذين كانوا من الإسماعيليين، قبل أن يغادروها، بسبب الأحداث الطائفية. راجع كتاب "تاريخ العلويين، ص449.

8- راجع كتاب الباحث الإسماعيلي عارف تامر "تاريخ الإسماعيلية" الجزء 1، ص 194. حيث يفرد فصلاً خاصاً بالقلاع الإسماعيلية في الساحل السوري، وأهميتها بالنسبة لمشروع الدولة التي اقامتها الإسماعيلية النزارية في المنطقة.

9- راجع " بحوث في الملل والنحل"، المجلد الثامن، ص 415. كما يذكر أبو موسى الحريري في كتابه "العلويون النصيريون، بحث في العقيدة والتاريخ" تفاصيل واقعة لم نعثر على توثيق لها حيث يقول: "وفي سنة 1807 حدثت بين النصيريين والإسماعيليين مذبحة رهيبة، وكان ذلك بخدعة ماكرة لا مثيل لها. إذ قام ثلاثمائة عيلة نصيرية تطلب اللجوء إلى أمير مصياف الإسماعيلي بحجة خلاف مع أحد رؤسائهم الدينيين. قبل الإسماعيلي طلبهم، وأسكنهم عنده. وبعد مدة وجيزة، وفيما كان الرجال الإسماعيليون في الحقول يرعون الماشية ويزرعون أرضهم، انقض النصيريون عليهم، وقتلوا منهم ثلاثمائة رجلاً، ودخلوا البيوت والحصون، وجاء لمساعدتهم إخوانهم الذين نزلوا من الجبال... مما يثبت بلا ريب وجود مؤامرة مدبرة مسبقاً. لكن، أن يبقى سر المؤامرة ثلاثة أشهر يستعد فيها النصيريون للانقضاض على أعدائهم، فهو ما يجعلنا نقدر مقدرة السرية والكتمان لشعب سري في كل شيء... وعلم باشا الشام بالمكيدة فأتى على رأس خمسمائة من عساكره، وقضى على المكيدين..."، أنظر كتاب "العلويون النصيريون، بحث في العقيدة والتاريخ"، ص154.

10- راجع "ثورة الشيخ صالح العلي"، عبد اللطيف يونس، ص 88.

11- يروي مؤرخ ثورة الشيخ صالح العلي، عبد اللطيف يونس تفاصيل مهاجمة العلويين لمناطق الإسماعيلية على أنها جاءت في سياق الضرورات الحربية، فقبل واقعة القدموس، يتحدث عن دخول القوات الفرنسية إلى قرى الإسماعيلية في نهر الخوابي، وجعلهم لها منطلق لهجومهم على الثائرين مما أستدعى هجوماً من هؤلاء على هذه المناطق، ولكنه يعترف بوقوع حوادث كانت تتجاوز الضرورات التي

يتحدث عنها فقد "اضطر المجاهدون للهجوم على القوات الفرنسية التي كانت تعسكر في قرى الإسماعيليين. ودامت المعركة أياما متواصلة لا يخمد لهيبها في ليل او نهار. وكان من البديهي أن تقع أضرار جسيمة في القرى الآهلة بالسكان. ولم يكن للمجاهدين مندوحة عن ذلك الهجوم، طالما انهم والجيش الفرنسي في صراع من أجل حرية أو عبودية"، "ثورة الشيخ صالح العلي"، ص117-118. ويتحدث في مكان آخر عما حدث في القدموس من جهة التجاوزات التي تتعدى الشأن العسكري فيقول: ولكن الذي يؤسف له ان احتلال القدموس الذي دام وقتا طويلا قد تخللته حوادث سلب ونهب من بعض المستغلين والمشاغبين، الذين لا يعرفون الواجب، ولا يقدرون المسؤوليات، وما يهمهم الا ارواء جشعهم وطمعهم وعصبيتهم البغيضة. ولما بلغ الشيخ ما جرى من اعمال السلب والنهب أمر برد المنهوبات الى اصحابها وأحال الذين دبروا تلك المؤآمرة على المحكمة العسكرية التي ادانتهم جميعا بالسجن، وحكمت عليهم احكاما قاسية." نفسه ص 128 وحول قضية اعادة المنهوبات إلى اصحابها يذكر المؤرخ في الهامش رواية الامير تامر (احد أمراء الإسماعيليين) "أن الشيخ قد اعاد اليه كل ما سلب منه. وزوده بالمال اللازم. وأرسله مع أسرته مخفورين الى مصياف. دون أن ينالهم اذى أو سوء من أحد." نفسه ص 129.

أنظر أيضاً: أنظر كتاب "العلويون النصيريون، بحث في العقيدة والتاريخ"، ص159.

12- أنظر كتاب "تاريخ الدعوة الإسماعيلية"، الدكتور مصطفى غالب، ص340-341.

13- راجع "خطط الشام"، الجزء الثالث، ص171.

14- نفسه، ص170.

15- راجع كتاب "تاريخ العلويين وقائع وأحداث"، هاشم عثمان، ص56-57.

16- نفسه، ص76-77.

17- أنظر: "مصياف الضائعة بين لهجة القاف و بين اسماء ضباط النظام و جلاديه و هي ليست منهم و ليسوا منها.. مصياف الحرة كانت و ستبقى"، بقلم: مصياف عود على بدء، على الرابط:

http://open-dialog.net/arshif-12/nompor%20(1308)/statya5.htm

18- راجع كتاب "البعث"، د. سامي الجندي، ص38.

19- راجع كتاب "حزب البعث، مأساة المولد.. مأساة النهاية"، مطاع صفدي، ص .67

20- يتحدث د. سامي الجندي عن تفكير البعثيين وخاصة منهم العسكريين فيقول: "كان العسكريون البعثيون يرون في الوحدة خطوة الثورة الأولى، ثورة البعث وهي غامضة لم توضح معالمها الإيديولوجية فنسج كل بعثي لها صورة في خياله وانتظر ان تحققها الوحدة وأخذت تظهر فضيحة النقص الإيديولوجي. وبين ان الحزب كلام كثير تستشف وراء وهمه فكرة غامضة غائمة السدوة والنسيج."، راجع كتاب "البعث"، ص84.

21- "كانت جل عناصره من الضباط الصغار، أو من أصحاب الرتب العسكرية المتوسطة. وكانت تنتمي إلى جذور طائفية معينة، بالصدفة أولاً، وهي الجذور العلوية أولاً، والدرزية ثانياً، والإسماعيلية ثالثاً."، راجع كتاب "حزب البعث، مأساة المولد.. مأساة النهاية"، مطاع صفدي، ص 301. وتشكلت القيادة العليا للجنة العسكرية البعثية التي تأسست عام 1959 خلال الوحدة بين مصر وسوريا بحسب نيقولاس فان دام" من قبل ضباط منقولين لمصر تكونت في البدء من خمسة ضباط من بينهم ثلاثة علويين وهم محمد عمران وصلاح جديد وحافظ الأسد وإسماعيليان وهما عبد الكريم الجندي وأحمد المير، وعندما توسعت اللجنة العسكرية فيما بعد لتشمل 15 عضواً أصبح تشكيلها كالآتي: خمسة من العلويين وهم محمد عمران من المخرم (حمص) وصلاح جديد من دوير بعبدا (اللاذقية) وحافظ الأسد من القرداحة (اللاذقية) وعثمان كنعان من منطقة الإسكندرون وسليمان حداد، وإسماعيليان وهما عبد الكريم الجندي من السلمية (حماة) وأحمد المير من مصياف (حماة) ودرزيان من جبل الدروز وهما سليم حاطوم من ذيبين وحمد عبيد وستة من السنيين منهم ثلاثة من حوران وهم موسى الزعبي ومصطفى الحاج علي وأحمد سويداني واثنان من حلب وهما أمين الحافظ وحسين ملحم وواحد من اللاذقية وهو محمد رباح الطويل، وكان لمعظم أعضاء اللجنة العسكرية أصول قروية وينتمون لعائلات فقيرة، ما عدا صلاح جديد وعبد الكريم الجندي فكانا ينتميان لعائلات بارزة من الطبقة المتوسطة، حيث كان والد جديد مندوباً عن منطقة بانياس وكان جده أحد زعماء اتحاد الحدادين لعشائر العلوية، وينتمي حافظ الأسد لعشيرة الكلبية العلوية" راجع كتاب " الطائفية والإقليمية والعشائرية في السياسة،1961– 1995 الدكتور نيكولاس فان دام، ص58.

22- نفسه، ص 108.

23- نفسه، ص 107.

24- راجع بحث "إدارة التنوع في سورية"، للباحث حسان عباس والذي يقول فيه: "لم تغب عن السلطة السورية يومًا مسألة الفسيفساء السورية، مع أنها لم تفصح البتة عن اهتمامها بأمرها. وقد بنت السلطة صورة الوحدة الوطنية المستقرة من خلال التظهير الكثيف لأسطورة علمانيتها النسبية المستقاة من مبادئ حزب البعث الحاكم. فعلمانية البعث التي تفصل الدين عن الدولة كان يفترض بها أن تصون السلطة التي هيمن عليها الحزب من الوقوع في مطبات المحاصصة (الطائفية على الأقل). لكن في الواقع، ومن خلف الصورة السطحية للأشياء، تصبح المحاصصة قانونًا غير مكتوب (عرفًا) تلتزم به السلطة في بناء مؤسسات الدولة (باستثناء المؤسسات صاحبة السلطة الحقيقية). ما من مجلس وزاري، أو مجلس شعب، أو مجلس بلدي... تشكل في البلاد إلا وكانت المحاصصة في خلفيات تشكيله. ففي كل وزارة نجد بالضرورة نسبة ثابتة من الوزراء ينتمون إلى هذه الطائفة أو تلك، أو هذه القومية أو تلك. بل كانت بعض الوزارات، وخلال فترة زمنية طويلة، موقوفة على هذه الطائفة أو تلك. فقد بقي وزير السياحة مسيحيًا لزمن طويل كما بقي وزير الإعلام علويًا وواحد من وزراء الدولة إسماعيلياً"

http://www.maaber.org/issue_july12/spotlights1.htm

25- راجع جريدة الثورة الرسمية، الثلاثاء 2005/4/5م.

26- راجع الرابط:
http://www.kurdistanabinxete.com/Siyaset/Suri/Mecliseledla/girtina_ismailya.htm

27- راجع رواية الناشطين الإسماعيليين في صفحة "مصياف للنشر" على موقع فيس بوك على الرابط:
https://www.facebook.com/pages206375862762430/ مصياف للنشر

حيث جاء في الرواية: " أحداث مصياف في آذار 2005 عندما تم تحويل خلاف شخصي بين سائقين على خط سرافيس مصياف حماه الى هجمه طائفيه شرسة على مصياف حيث قام بعض من ينتمي للطائفة العلوية من القرى المجاورة بالتجول في مصياف بسيارات يسبون ويشتمون أعراض اهل مصياف ويطلقون الرصاص من اسلحتهم الرشاشة في الهواء وقد حاول أهل مصياف اللجوء الى الشرطة والقضاء

ومدير المنطقة الذي قال لهم : لن اتدخل حتى يصير الدم للركب...المهم أن اهل مصياف تظاهروا في شوارع مصياف منتفضين بكل مكوناتهم العمرية والفكرية على هذا الوضع الشاذ وكذلك فتحوا الباب على كل السنوات السابقة التي تم فيها استفزاز اهالي مصياف واضطهادهم وظلمهم وظلم مدينتهم من كل النواحي وأصروا على مواقفهم انتصارا لكرامتهم أولا التي امتهنها الشبيحة في شوارع مصياف...توجه شباب مصياف ايضا الى مقر مديرية المنطقة واحرقوا سيارة مدير المنطقة وكذلك بعض سيارات الشرطة التي لم تفعل شيئا لحمايتهم...كما قام العلويون بمقاطعة اهل مصياف وعدم التعامل معهم تجاريا في سوق مصياف حيث المتاجر والمحلات الأساسية لأهل مصياف وقد قام العلويون بإنشاء سوق تجاري على وجه السرعة في الحي الجنوبي لمصياف يضم كل انواع السلع التجارية....المهم لم تكن مشكلة مصياف هنا بل بالبعد الطائفي الذي اخذته الأحداث واستفزازهم بكراماتهم واعراضهم والمعتقدات الدينية...أرسلت السلطة قوات حفظ النظام الى مصياف لمنع تفاقم الاحداث واعتقلوا العشرات من شباب البلدة كما قيل ان وزير الداخلية السابق (غازي كنعان) قد اشرف شخصيا بتكليف من رأس النظام لمتابعة الموضوع (...) فتم استرضاء خواطر أهل مصياف والاعتذار منهم وتم الافراج عن المعتقلين من شبابهم".

28- أنظر "مصياف الضائعة بين لهجة القاف و بين اسماء ضباط النظام و جلاديه و هي ليست منهم و ليسوا منها.. مصياف الحرة كانت و ستبقى"، مرجع سبق ذكره.

29- راجع المقال التهكمي الساخر "يحيا الذكاء" حول تغطية الإعلام الرسمي لأحداث مصيف للصحفية سعاد جروس على الرابط

http://www.syria-news.com/readnews.php?sy_seq=3832

كما يمكن قراءة ما كتبه حسن الحاج ابراهيم تحت عنوان " درس من مصياف ((للسلطة والمعارضة))، على الرابط

http://www.syria-news.com/readnews.php?sy_seq=7082

30- راجع جريدة الثورة على الرابط

http://thawra.alwehda.gov.sy/_archive.asp?FileName=74013932920050714000654

31- نقلت مراسلة موقع إيلاف بهية مارديني الأحداث في تقرير لها جاء فيه: "عبّر ناشطون سوريون اليوم عن استيائهم من أداء الأجهزة الأمنية المنوط بها حماية المواطنين في بلدة القدموس التابعة لمحافظة طرطوس على الساحل السوري، والتي شهدت أعمال عنف وشغب إثر شجار بين عائلات من طائفتين مختلفتين " الطائفة العلوية والطائفة الإسماعيلية ". وتطور الأمر الى استقدام بعض الشبيحة لأقاربهم من القرى المجاورة مما أسفر عن جرح العديد من المواطنين، وحرق اكثر من 20 محلا تجاريا بخسائر قدرت بـ100 مليون ليرة سورية (حوالي 2 مليون دولار)، وفيما اتهم بعض أهالي بلدة القدموس في اتصالات مع ايلاف هؤلاء الشبيحة بأنهم بقايا سرايا الدفاع وأنهم يحركون للمرة الثانية خلال شهرين من قبل رجالات رفعت الأسد نائب الرئيس السوري السابق الموجود في الخارج، والذي أعلن عن رغبته للعودة إلى البلاد، قالت المنظمة السورية لحقوق الإنسان أنها تتابع بقلق بالغ الأحداث المؤسفة التي شهدتها منطقة القدموس، وما حولها مؤخرا اثر اقدام ثلة من الخارجين عن القانون مدججين بالأسلحة والهراوات بأعمال النهب والحرق والخلع والكسر والتدمير لبعض منازل المدينة ومحالها التجارية، وتهشيم زجاج السيارات وترويع الآمنين، اضافة لمنع المصابين من الوصول الى مشفى القدموس."

راجع الرابط:
http://www.elaph.com/Web/Politics/2005/7/76285.htm?sectionarchive=Politics

32- لم تكن الأحداث في مصياف والقدموس غائبة عن القوى السياسية المعارضة، بل إن هذه الأحداث تمت إحالتها من ناحية التحليل السياسي، إلى الأزمة العميقة التي تعيشها سوريا بسبب غياب الديموقراطية..

راجع بيان حزب العمل الشيوعي (أحد أبرز الأحزاب المناوئة طيلة 30 سنة) بتاريخ 2005 / 7 / 17حول الأحداث على الرابط:

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=41280

والذي جاء فيه: "ما حدث في القدموس بتاريخ 2005/7/14/ وللمرة الثانية وأيضا بعد حادثة مشابهة في منطقة مصياف المجاورة , اثر احتكاك عنيف بين شخصين أو مجموعتين من الطائفتين (الإسماعيلية والعلوية) ثم تطورت الأحداث بسرعة فائقة إلى مستوى حشد موجات بشرية من الطائفتين, وصول الأمر إلى درجة خطرة من ممارسة العنف, وصولا إلى حرق المنازل والمحال التجارية وإطلاق نار.. هذه هي

ملامح الحرب الأهلية بين الأهل, أهل الوطن والمنطقة والمدينة والقرية الواحدة 0والتي نخشاها ونرتعب منها, والتي أوصلنا إليها النظام بإلغائه ومصادرته للسياسة والحريات وابتلاع الأجهزة الأمنية لدور الدولة ومؤسساتها وخياره الحلول الأمنية مكان الحلول السياسية لمعالجة مشكلات الوطن ورسم مستقبله ومصيره."

33- أنظر حواره في موقع كلنا شركاء، على الرابط:

http://www.all4syria.info/Archive/58723

34- راجع " مدينة السَلَمية: يوميات من بداية الثورة"، صبر درويش، على الرابط: http://syria.alsafahat.net/

35- نفسه.

36- راجع: "مصياف مدينة ذات غالبية علوية تنأى بنفسها عن مناصرة الأسد"، جريدة الشرق الأوسط، الخميس 04 رجب 1433 هـ 24 مايو 2012 العدد 12231

37- راجع صفحة The Syrian Revolution 2011 الثورة السورية ضد بشار الاسد، على موقع فيس بوك بتاريخ 16 حزيران 2011.

38- راجع شهادة الناشط أبو نجم القدموسي، والتي سجلها الباحث ياسين الحاج صالح، في موقع الجمهورية بتاريخ حزيران 2013، والتي قال فيها: " في السنة الأولى من الثورة شاركت في مظاهرة في مدينة السلمية. رحت عالسلمية لأنو أول صورة انضربت لحافظ بسورية كلها كانت بالقدموس، فنزّل النظام «لجان شعبية» وحطوا حواجز، وما عاد في مجال لحدا يتحرك بالقدموس." يمكن قراءة الشهادة كاملة على الرابط:

http://therepublicgs.net/2013/06/17/أبو-نجم-القدموسي/

39- تحدث ناشطون في المدينة عن أن النظام "حاول خلق فتنة طائفية في السلمية حين اتهم أبناء من الطائفة السنية بمحاولة تمزيق الصورة التي تظهر إمام الطائفة الإسماعيلية كريم آغا خان بجانب صورة بشار الأسد.. لكن خبرة أهالي المدينة ووعيهم حالا دون ذلك". أنظر: "«السلمية».. مدينة «الفقر والفكر»"، تقرير بولا أسطيح، جريدة الشرق الأوسط، الاربعاء 18 جمادى الثاني 1433 هـ 9 مايو 2012 العدد 12216.

40- انظر: مقدمة كتاب "الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم"، د.فرهاد دفتري، مطبوعات جامعة كمبريدج، 1990. أنظر أيضاً مختصر تاريخ الإسماعيليين: تقاليد مجتمع مسلم، (مطبوعات جامعة أدنبرة، 1998)، للكاتب نفسه.

41- عبر الآغا خان هو ذاته عن هذا الأمر في سياق لقاء أجرته معه قناة LBC اللبنانية، إذ قال: أنا لست رجلاً سياسياً، كلا، غير أن السياسة تؤثر على كل الدول التي تعيش فيها المجموعة الإسماعيلية، وتؤثر على المنظمات الدولية كما تؤثر على الأولويات التي تضعها الدول الغربية والدول النامية. الجواب هو إذاً بطريق تماسية نعم. لكن ليس مباشرة." أنظر الرابط:

http://ismaili.net/intervue/lbc/lbcarabic.htm

42- راجع الصفحة على الرابط

https://www.facebook.com/agah.khan.rev

43- نفسه.

44- أنظر: "المرجع الإسماعيلي كريم أغا خان يقوم بأكبر عملية "ترحيل" لأبناء طائفته من المحافظات السورية بعد أن بدأ الإخوان المسلمون استهدافهم قتلا وخطفا" على الرابط:

http://syriathepromise.wordpress.com

لم تتوقف أجهزة لنظام عن سعيها لتشويه صورة الإسماعيليين أمام جمهور الثائرين، وكذلك فعل مؤيدو النظام من المؤسسات الإسماعيلية في وقت لاحق، حينما قام الممثل المقيم لشبكة الآغا خان في سورية اللواء محمد سيفو بتكريم كل من المفتي العام للجمهورية أحمد بدر الدين حسون ووزير الدولة لشؤون المصالحة الوطنية علي حيدر، في خطوة لقيت استياءً كبيراً من الناشطين الإسماعيليين، الذي طالبوا مكتب الآغا خان في باريس بتوضيح للخطوة، حيث أن عمل الشبكة يقتضي منها عدم التدخل بالشأن السياسي.

أنظر الرابط:

http://thawra.alwehda.gov.sy/_archive.asp?FileName=870391 82820140203022422

45- أنظر "حراك تحت المجهر: ثورة مدينة السلمية"، مجلة سنديان، العدد الثالث تشرين الأول 2012، حيث يقول الكاتب: "بعد تصاعد العسكرة في الثورة خفت وتيرة المظاهرات، وتحولت المدينة إلى مدينة إغاثة. أصبحت المدينة ملجأً لعشرات الآلاف من النازحين الذين قدموا إليها من حماه وحمص والرستن وتلبيسة والذين تم تأمينهم بجهود إغاثية كبيرة قام بها شباب أغلبهم من الإسماعيليين والعلويين، كما قام شبابٌ آخرون بإيصال المساعدات إلى المناطق المنكوبة ومنهم الشهيد ملهم رستم الذي استشهد على حاجز في الرستن وهو يقوم بإيصال المساعدات الإنسانية إلى أهلها"، انظر الرابط:

http://arab-worlds.blogspot.com/2012/10/blog-post_5806.html

46- أنظر تقرير وكالة مسار برس " مدينة السلَمية رمز للتآلف وثورة على الظلم والطائفية" بتاريخ 2013/10/4 على الرابط:

https://www.masarpress.net

47- الكتائب العاملة حالياً وبحسب مراسلات شخصية مع ثوار السلمية هي:

- كتيبة اجرار سلمية -كتائب الفاروق- فاعلة حتى اللحظة

http://www.youtube.com/watch?v=88LyBk33oJU

- كتيبة درع البادية - غير فاعلة حالياً

http://www.youtube.com/watch?v=p1-TfmtChrM

- لواء شهداء مدينة السلمية -فاعلة حتى اللحظة

http://www.youtube.com/watch?v=NKCMflWCHMQ

- كتيبة شباب سلمية -فاعلة حتى اللحظة

http://www.youtube.com/watch?v=EMpEek1EDoQ

48- أنظر تقرير وكالة مسار برس "مدينة السلَمية رمز للتآلف وثورة على الظلم والطائفية"، مرجع سبق ذكره.

49- أثارت تصريحات قائد الجيش السوري الحر العقيد المنشق عن الجيش العربي السوري رياض الأسعد حول مدينة سلمية ردود فعل غاضبة بين صفوف المعارضين في مدينة سلمية. وكان رياض الأسعد قال خلال اتصال هاتفي مع قناة العربية إن " منطقة سلمية تعتبر موالية للنظام" ويتم عبرها مرور تعزيزات عسكرية لوحدات الجيش السوري الذي يخوض معارك عنيفة في حلب. انظر تقرير موقع "عكس السير" على الرابط:

http://www.aksalser.com/?page=view_articles&id=7b1d24ea5354e9d46b7a4996a99367e6

50- أنظر تقرير :" التعتيم الإعلامي يُغيّب مرتكبي وضحايا تفجير في السلمية" في موقع "سوريا بدا حرية" على الرابط:
http://www.sbhmagazine.com/readNews.php?id=4542

51- استنكرت تنسيقية مدينة السلمية حادثة القصف في بيان جاء فيه: "إن الحيثيات والظروف المحيطة بالقصف الغادر لمدينة سلمية بتاريخ 11_ 08_2013 لا تدع مجالاً للشك بتخلف وغباء وهمجية مرتكبه، فهو يتطابق مع أسلوب قوات عائلة الأسد في الاستهانة بحياة المدنيين، واحتقار الحياة البشرية بوصفها قيمة عليا وأولى، فقد جاء هذا القصف مترافقاً مع قصف مماثل لقريتي "تلدرة" و"قبة الكردي"، ومع عملية فاشلة (ادعى القائمون بها نجاحها) ضد كتيبة الصواريخ في "زور السوس" التابعة لجيش آل الأسد، راح ضحيتها أكثر من 30 مهاجماً للكتيبة، ثم صدر تبـــنٍّ للعملية من قبل ما يسمى "دولة الإسلام في العراق والشام" ورد فيه قيام ما يدعى " لواء أحفاد الرسول" بالقصف مستهدفاً ما سماه "أوكار الشبيحة " في المناطق المقصوفة، وكان بياناً مخزياً، مليئاً بالمفردات الطائفية البغيضة، (...) وبناءً عليه، نطالب الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة، ورئاسة أركان الجيش الحر، والناشطين، والفعاليات الثورية كافة، بما يلي:

ـ محاسبة مرتكبي جريمة القتل الجماعي للمدنيين الأبرياء في مدينة سلمية.

ـ اتخاذ موقف واضح، لا يقبل التأويل الغامض، والتفسير الملتبس، بالتبرؤ من مرتكبي هذه الجريمة، واعتبارهم مطلوبين للعدالة، شأنهم في ذلك شأن قوات وميليشيات الأسد.

ـ ندعو جميع الناشطين (في مجال حقوق الإنسان ـ إعلاميين ـ سياسيين...) لتوثيق جميع الارتكابات بحق الشعب السوري، بغض النظر عن القائم بها، تمهيداً لمحاسبته،

وإحالته للقضاء، ومخاطبة الهيئات والمنظمات السورية والعالمية ذات الصلة بالتوثيق والمحاسبة." أنظر البيان على موقع "شفاف الشرق الاوسط" على الرابط:

http://www.metransparent.com/spip.php?page=article&id_article=22892&var_lang=ar&lang=ar

52- فلسفة الخوف (نظرية القطيع التائه) تستخدم الدوائر السياسية والإعلامية الأمريكية سياسات وتكتيكات متعددة وفق القيم الاستراتيجية الحربية الجديدة وبما يتطابق مع التطبيقات الحربية المعاصرة "استراتيجية البركان volcano strategy - الحرب القذرة - dirty war بعنصر "الحرب الديموغرافية demographic war" وبالأخص تستخدم فلسفة سياسية مخابراتية ذات بعد ديموغرافي تسمى (سياسة الخوف والتخويف) وكان السياسي الأمريكي اليساري المعارض "نعومي تشو مسكي" أطلق عليها تسمية "نظرية القطيع التائه" والتي تسعى لزرع الخوف المستديم في النسيج الاجتماعي بشكل عام أو يجري تفكيكه إلى طوائف وأعراق ويمارس كل جهد تلك الفلسفة تجاه المكون المستهدف ليجري استقطابه وخندقته, وقد استخدمت هذه الفلسفة في الولايات المتحدة وبقية الدول الغربية بشكل شائع. أنظر: "صراع الاستقلال، العنف في العراق بين سياسة الخوف وصراع الأجندات" للباحث الدكتور د.مهند العزاوي – مركز صقر لدراسات الاستراتيجية والعسكرية، على الرابط:

http://www.dhiqar.net/MakalatK/MK-DrMohanned11-07-09.htm

53- أنظر تحليل الكاتب عهد فاضل للبنية الذهنية العلوية الراهنة في مقالته "العلويّون من الشيخ الى الجنرال الى الدكتور.."

http://www.masress.com/almesryoon/57386

وأيضاً قراءة أخرى تحت عنوان " لماذا تلتصق الطائفة العلوية بالنظام؟ بين الباطنية والعلوية السياسية.." بقلم قتيبة حيدر علي، على الرابط

http://soutraya.com/live/لماذا-تلتصق-الطائفة-العلوية-بالنظام؟/

54- يقول أبي حسن في كتابه "هويتي من أكون، في الطائفية والإثنية السوريتين": "من الجدير أن نلفت الانتباه هنا إلى الإضطهاد والإضطهاد المضاد الذي كانت تتبادله الطائفتان العلوية والإسماعيلية في جبال العلويين في العهد المملوكي، وهو اضطهاد نادراً ما كان يخلو من ارتكاب مجازر ومجازر مضادة. وما لفت انتباهي هو ندرة

كتب التاريخ التي وقعت بين يديّ التي تتحدث عن تلك الفترة المقيتة، وان كانت الذاكرة، شبه الجمعية، للعلويين والإسماعيليين، تختزن الكثير من تلك الصور المرعبة في طياتها! لكن، ومن حسن الحظ، يبدو أن الطرفين-بشكل عام- قد تجاوزا تلك التواريخ المفجعة. وإن حصلت بعض الأحداث العابرة في ما بعد هنا أو هناك، كما جرى في بلدة "القدموس" ومدينة" مصياف" السوريتين منذ قرابة الثلاثة أعوام". غير ما يجب الإشارة إليه هو تجاهل الكاتب غير المفهوم للوقائع التي جرت في القرن التاسع عشر، والقرن العشرين.(الباحث).

55- بلغ عدد من دخلوا المعتقل من أبناء هذه المدن حتى تاريخ منتصف الشهر الرابع من العام 2014، بحسب مركز توثيق الانتهاكات VDC في سوريا :

السلمية	764 معتقل
مصياف	140 معتقل
القدموس	لم يتم تسجيل أي اسم

بينما بلغ عدد الشهداء:

السلمية	153 شهيد
مصياف	31 شهيد
القدموس	لم يتم تسجيل أي اسم

أنظر موقع المركز: http://www.vdc-sy.info/index.php/ar/

56- "علوية.. علوية.. بدنا ندوسك سلمية"، بهذا الشعار دخلت أرتال الشبيحة إلى مدينة السلمية، بعد مظاهرة حاشدة اشترك فيها مؤيدو النظام ومعارضيه، هدفت إلى إخراج الشبيحة من العائلات الإسماعيلية و العلوية من المدينة. أنظر: "تظاهرة ضد «الشبيحة» في مدينة السلمية في حماة"، جريدة الحياة، لثلاثاء، ٤ مارس/ آذار ٢٠١٤، الرابط:

http://www.alhayat.com/Articles/877351/تظاهرة-ضد--الشبيحة--في-مدينة-السلمية-في-حماة

المصادر والمراجع:

1- فان دام، نيقولاس، الصراع على سوريا الطائفية والإقليمية والعشائرية في السياسة ،1961– 1995، الطبعة الإلكترونية.

2- أمين، محمود، سلمية في خمسين قرناً، دمشق، 1983.

3- السبحاني، الشيخ جعفر، بحوث في الملل والنحل، طبع ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي، ط6، 1417 هـ ،قم، ايران.

4- الطويل ، محمد أمين غالب، تاريخ العلويين، مطبعة الترقي، ط1، 1924، اللاذقية، سوريا.

5- خوندة، المحامي محمد، تاريخ العلويين وأنسابهم , دار المحجة البيضاء, ط1, 2004, بيروت، لبنان.

6- تامر، عارف، تاريخ الإسماعيلية، ج1، دار رياض نجيب الريس، ط1، 1991، لندن، المملكة المتحدة.

7- الحريري، أبو موسى، العلويون النصيريون، بحث في العقيدة والتاريخ، سلسلة الحقيقة الصعبة 5، دون دار نشر، دون ط، 1980، بيروت، لبنان.

8- يونس، عبد اللطيف، ثورة الشيخ صالح العلي، سلسلة رواد التحرر العربي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مديرية التأليف والترجمة، دون ط، دون ت، دمشق، سوريا.

9- غالب، مصطفى، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، دون ط، دون ت، بيروت، لبنان.

10- كرد علي، محمد، خطط الشام، ج3، ط2، دون ت، مكتبة النوري، دمشق، سوريا.

11- عثمان، هاشم، تاريخ العلويين وقائع وأحداث، ط1، 1997، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

12- الجندي، د.سامي، البعث، ط 1، 1969، دار النهار، بيروت، لبنان.

13- صفدي، مطاع، حزب البعث، مأساة المولد.. مأساة النهاية، ط1، 1964، دار الآداب، بيروت، لبنان.

14- دفتري، د. فرهاد، الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، د. فرهاد دفتري، مطبوعات جامعة كمبريدج، 1990.

15- دفتري، د. فرهاد، مختصر تاريخ الإسماعيليين: تقاليد مجتمع مسلم، مطبوعات جامعة أدنبرة، 1998.

16- حسن، أبي، هويتي من أكون، في الطائفية والإثنية السوريتين، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ط1، 2009، بيروت، لبنان.

جرائد:

1- الثورة، دمشق.
2- الشرق الأوسط، لندن.
3- الحياة، لندن.

مجلات:

1- مجلة سنديان، مجلّة ثورية تصدر من الساحل السّوري.

وكالات:

1- وكالة مسار برس.

مواقع إلكترونية:

1- الجزيرة نت.
2- كلنا شركاء.
3- موقع المركز الثقافي الألماني "غوته"
4- معابر.
5- سيريا نيوز.
6- إيلاف.
7- الحوار المتمدن.
8- صفحات سورية.

9- الجمهورية للدراسات.

10- اسماعيلي.

11- الوعد السوري.

12- عكس السير.

13- سوريا بدا حرية.

14- شفاف الشرق الأوسط.

15- شبكة المنصور.

16- مصرس.

17- صفحات تنسيقيات على موقع فيس بوك.